مجرى ٢

اغفر لي خطيئته ويقبل توبته

لا ان جر له وهو اعلم من اين

١٢٤٤

منهاج العابدين

مشتري

٥٠

درويش احمد

الشيخ محمد بن الحاج حمزة

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

املاء علينا الشيخ الامام الاجل الزاهد السعيد الموفق

حجة الاسلام زين الدين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد

الغزالي الطوسي قدس الله روحه هذا الكتاب

وهو اخر كتاب صنفه ولم يتمسه منه الا خواص

اصحابه وبعد الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم

العزيز الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته

ودبر الامر في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس

الا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين والدليل لائح

للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

وهو اعلم بالمهتدين والصلوة على سيد المرسلين وعلى

اله الابرار الطيبين اجمعين وسلم وعظم الى يوم الدين

تفضلا وتحط فيه عظيما ولذلك عز من يقصده ...

اعلموا اخواني اسعدكم الله واياي بمرضاته ان العبادة

ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبيد الاقوياء

وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء وقسمة الاعزة ومقصد

ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار

ذوي البصائر وهي سبيل السعادة

ومنهاج الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون

وقال ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم

انا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مباديها الى

مقاصدها التي هي امنية سالكيها فاذا هي طريق

وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة

المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات كثيرة

العوائق والموانع خفية المهالك والمقاطع

...

غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع وهكذا يجب

يورث الصداع والتقاطع عن يورث الأشياع والأتباع وهكذا
يجب أن يكون لأنها طريق الجنة فيصير تصديقاً لما قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن الجنة حفت
بالمكاره وإن النار حفت بالشهوات وقد قال عليه السلام
ألا إن الجنة حزن بربوة وإن النار سهل بسهوة ثم مع
ذلك كله فإن العبد ضعيف والزمان صعب وأمر الدين
متراجع والفراغ قليل والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل
تقصير والناقد بصير والأجل قريب والسفر بعيد
والطاعة هي الزاد فلا بد منها وهي فائتة فلا مرد لها
فمن ظفر بها فقد فاز وسعد أبد الآبدين ومن فاته
ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار
هذا الخطب إذاً والله معضلاً والخطر فيه عظيماً ولذلك عز من يقصد هذه الطريق

وقل

وقل ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين
من يصل إلى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم الأعزة
الذين اصطفاهم الله تعالى لمعرفته ومحبته وسددهم
بتوفيقه وعصمته ثم أوصلهم بفضله إلى رضوانه و
جنته فنسأله جل ذكره أن يجعلنا وإيانا من أولئك
الفائزين برحمته ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة
نظرنا فأمعنا النظر في كيفية قطعها وما يحتاج إليه العبد
من الأهبة والعدة والآلة والحيلة من علم وعمل عسى أن يقطعها
بحسن توفيق الله بسلامة ثم لا ينقطع في عقباتها المهلكة
فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذه العقبات
والطرق وسلوكها كتباً كإحياء علوم الدين وكتاب الأسرار
والقربة إلى الله وغير ذلك واحتوت على دقائق من العلوم التي
اعتاصت على أفهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوا

منها فأي كلام أفصح من كلام رب العالمين وقد قالوا

فيه أساطير الأولين ... الرشيع ... قول زين العابدين

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم يا رب

جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

واقتضت الحال عند ذلك النظر إلى كافة خلق الله

بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت واقتضت الحال عند ذلك

النظر إلى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت

إلى من بيده الخلق والأمر أن يوفقني لتصنيف كتاب يقع

عليه الإجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فأجابني إلى ذلك الذي

يجيب المضطر إذا دعاه وأطلعني بفضله على أسرار ذلك وألهمني

فيه ترتيبا عجيبا لم أذكره في المصنفات التي تقدمت في أسرار معاملات

الدين وهو الذي أنا له واصف فأقول وبالله التوفيق

إن أول ما ينبه العبد للعبادة ويحركه لسلوكها

وسلوك طريقها يكون خطرت سماوية من الله تعالى

وتوفيق خاص إلهي وهو المعني بقوله تعالى أفمن

شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وأشار

إليه صاحب الشرع صلى الله عليه فقال إن النور إذا

دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل

لذلك علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والإ

نابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فإذا

خطر بقلب العبد أول كل شيء يقول إني أجدني نعما

علي بضروب من النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق في

سائر المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب

الآفات والمضار وإن لهذه منعما يطالبني بشكره وخدمته

وإن أغفلت عن ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني بأسه ونقمته

فقد بعث الي رسولا انذرني بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة
عن مقدور البشر واخبرني بان لي ربا جل ذكره قادرا عالما
حيا متكلما يأمر وينهى وهو قادر على ان يعاقبني ان عصيته ويثيبني
ان اطعته عالما باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد
واوعد وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن
اذ لا استحالة لذلك في العقل في اول البديهة فيخاف على
نفسه فيقلق وينزعج فهذا الخاطر الفزع الذي نبه العبد
يلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة وينبعث الى النظر والاستدلال
فيحتاج العبد عند ذلك ويتقلقل النظر فلا يبقى له قرار و
ينظر في طريق الخلاص وحصول الامان له مما يقع في قلبه
او سمعه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلائل
والاستدلال بالصنعة على الصانع فيحصل له العلم اليقين
بما هو علم الغيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره

ونهاه

ونهاه فهذا اول عقبة استقبلته في طريق العبادة
وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة فيأخذ
في قطعها من بعد بحسن النظر في الدلائل ووفور التعلم
والتأمل والسؤال من العلماء الاخرة الذين هم ادلاء
الطريق وسرج الامة وقادة الائمة والاستفادة منهم وا
ستهداء الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى
ان يقطعها بتوفيق الله فيحصل له العلم اليقين بالغيب
وهو ان يعلم ان له الها واحدا لا شريك له هو الذي
خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه بشكره وامره
بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره الكفر وضروب
المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب
الخالد ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك بعثته هذه المعرفة
واليقين بالغيب على التشمر بالخدمة والاقبال على العبادة

لهذا السيد المولى المنعم الذي طلب فوجده وعرفه
بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزم
من خدمته بظاهره وباطنه فبعد حصول هذه المعرفة
بالله سبحانه وتعالى يعلم بما يلزمه من الفرائض
الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة
بالفرائض انبعث ليأخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر
فاذا هو صاحب جنايات وذنوب هذا حال الاكثر
من الناس فيقول كيف اقبل على العبادة وانا
مصر على المعصية ومتلطخ بها فيجب اولا ان اتوب
اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها واتطهر
من اقذارها فاصلح للخدمة وبساط القربة فيستقبله
ههنا عقبة التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل
الى ما هو المقصود منها فيأخذ في ذلك باقامة التوبة

الصادقة

الصادقة وحقوقها وشرائطها الى ان يقطعها فلما حصلت
له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة
ليأخذ فيها فنظر فاذا حف له عوائق تحدق به كل واحد
منها تعوقه عما قصد من العبادة بضرب من التعويق
فتأمل فاذا هي اربع الدنيا والخلق والشيطان
والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوائق وازاحتها
والا فلا يتأتى له امره من العبادة فتستقبله ههنا عقبة
العوائق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد من
الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان
والمخالفة مع النفس واما النفس فاشدها اذ لا
يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة واحدة ويقمعها
كالشيطان اذ هي المطية والالة ولا مطمع ايضا في
موافقتها على ما يقصد العبد من العبادة والاقبال عليها

اذ هي مجبولة على ضد الخير والهوى واتباعها له فاحتاج العبد
اذا الى ان يلجمها بلجام التقوى لتنقاد له فلا تنقطع وتنقاد فيكبحها
فلا تطغى فيستعملها في المصالح والرشد ويمنعها عن المفاسد
والمهالك فيأخذ اذا في القطع بهذه العقبة ويستعين بالله
جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها عاد الى قصد
العبادة فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال
على مقصوده من العبادة وتصده عن التفرغ لذلك كما ينبغي
فتامل فاذا هي اربعة الاول الرزق تطالبه النفس
به وتقول لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا
وتفردت ايضا عن الخلق فمن اين يكون قوامي ورزقي
والثاني الاخطار من كل شيء يخافه او يرجوه او يريده
او يكرهه ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده فان عواقب
الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع في فساد او هلكة

والثالث

والثالث الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب
لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان و
مضادة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة
يستقبله وكم من هم وحزن يعترض له وكم مصيبة
تتلقاه والرابع انواع القضاء من الله تعالى بالحلو و
المر ترد عليه حالا فحالا والنفس تسارع الى السخط و
تبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة
فاحتاج الى قطعها باربعة امور بالتوكل على الله تعالى
في موضع الرزق والتفويض في موضع الخطر والصبر
عند نزول الشدائد والرضا عند نزول القضاء فاخذ
في قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى وحسن
تاييده فلما فرغ من قطعها عاد الى قصد العبادة
فنظر فاذا النفس فاترة كسلانة لا تنشط ولا تنبعث

والهم مختلفة عما هو والحزن بما مضى والغم بما يصيب القلب من الالم بفوت مال او ولد او غيره ذلك والغم اشد من الحزن والحزن اسهل منهما والهم وسط بينهما لان الغم حزن يغم الرجل

الخير كما يحق وينبغي وانما يميلها الى الغفلة ودعة وراحة
وبطالة بل الى الشر وفضول وبلية وجهالة فاحتاج معها
هاهنا الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها فيه وزاجر
يزجرها عن الشر والمعصية ويفترها عنه وهما الرجاء والخوف
فالرجاء في عظيم ثواب الله وحسن ما وعد من انواع الكرامة
وتذكر ذلك سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة ويحركها وينشطها
والخوف من اليم عقاب الله وعذابه وصعوبة ما اوعد
من العقاب والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويفترها
ويجنبها فهذه عقبة البواعث استقبلته هاهنا
فاحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها
بحسن توفيق الله سبحانه وتعالى فقطعها فلما فرغ
منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير عائقا ولا شاغلا
ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة فاقبل عليها

بتمام الشوق والرغبة فاداها فنظر فاذا بدا لهذه العبادة
العظيمة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان عظيمتان وهما
الرياء والعجب تارة يرائي بطاعته الناس فيفسدها واخرى يمتنع
من ذلك ويلوم نفسه فيه فيعجبه نفسه فيحبط العبادة عليه ويتلفها
فاستقبلته هاهنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها
بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في
قطع هذه العقبة باذن الله بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة
الجبار وتاييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة
كما تحق وتنبغي وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو
غريق في بحور منن الله واياديه من كثرة ما انعم الله عليه
من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة وخاف
ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك
المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة الخدم المخلصين لله عز وجل

وتذهل عنه تلك النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى
وحسن نظره اليه فاستقبلته ها هنا عقبة الحمد والشكر فا
خذ فيها يقطعها بما امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه
فلما فرغ من هذه العقبة ونزل فاذا هو بمقصوده ومنتهاه
بين يديه فلم يبق الا قليلا حتى وقع في سهل الفضول وفضاء الشوق
وعرصات المحبة ثم وقع في رياض الرضوان وبساتين الانس
الى بساط الانبساط ومرتبة التقريب ومجلس المناجات ونيل الخلع
والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب في طيبها ايام بقائه
وبقية عمره بشخصه في الدنيا وقلبه في العقبى ينتظر المزيد يوما فيوما
حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا وحن الى الموت واستكمل الشوق
الى الملاء الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين يردون عليه بالروح والريحان
والبشرى والرضوان من رب راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس
وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية المنتنة الى الحضرة الالهية

ومستقر

او المستوى ورياض الجنة فيرى لنفسه الضعيف الحقير نعيما و
ملكا كبيرا عظيما ويلقى هنالك من الرب العظيم الرحيم الكريم
جل ذكره ما لا يبقى من اللطف والعفو والعطف والترحيب والتقريب
والانعام والاكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين بتوفيق الله
كل يوم في زيادة الى ابد الابدين فيا لها من سعادة عظيمة
ويا لها من دولة عالية ويا له من عبد سعيد ودار مغبوط
وشان محمود فطوبى له وحسن مآب نسئل الله البر الرحيم
سبحانه وتعالى ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة وما
ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم
من هذه الامور الا وصف او سماع او تمنّ بلا انتفاع و
ان لا يجعل ما تعلمنا من العلم علينا حجة يوم القيمة وان يوفقنا
جميعا بالعمل لذلك والقيام به كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين
واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب الذي الهمني لحبه مولاي

في طريق العبادة فاعلم الآن ان الحاصل من هذه الجملة سبع عقبات
الأول عقبة العلم والثاني عقبة التوبة والثالث عقبة
العوائق والرابع عقبة العوارض والخامس عقبة البواعث
والسادس عقبة القوادح والسابع عقبة الحمد والشكر
بتمامها يتم منهاج العابدين الى الجنة ونحن الآن نشرح هذه العقبات
بشرح موجز في لفظه يشتمل على النكت المقصودة في هذا الفن بشرح
وجيز في باب نزد ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق والتسديد
بمنه وكرمه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن والحمد لله رب العالمين

الباب الأول في العقبة الأولى وهي عقبة العلم

فأقول وبالله التوفيق يا طالب الخلاص
والعبادة عليك اولا وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار
واعلم ان العلم والعبادة جوهران ولاجلهما كان كل ما ترى
وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين

ونظر

ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل
بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما من الخلق فتأمل
آيتين من كتاب الله عز وجل احدهما قوله تعالى الله
الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد والثاني
قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الآية
دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين
هما المقصود من خلق الله في الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل
الا بهما ولا يتعب الا لاجلهما ولا ينظر الا فيهما فاعلم ان ما سواهما
من الامور باطل لا خير فيه ولا حاصل له فاذا علمت فاعلم ان العلم
اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
فضل العالم احب الي من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها

على العابد كفضلي على ادنى رجل من امتي وقال النبي صلى الله عليه وسلم نظرة الى العالم

احب

وقال النبي الا ادلكم على اشرف اهل الجنة.. قالوا بلى يا رسول الله فقال
علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف الجوهر من العبادة فبان لك
وان لا شيء اشرف جوهرا من العلم ولكن لا بد للعبد من العبادة
مع العلم والا كان علمه هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة
والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشجرة اشرف اذ هي الاصل
لكن الانتفاع انما يحصل بثمرتها فاذا لا بد من العبادة ليسلم
شرف العلم ولا بد للعبد ان يكون له من كلي الطرفين والامرين جميعا
حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصري اطلبوا هذا العلم طلبا
لا تضروا بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم
ولما ثبت انه لا بد للعبد منهما جميعا فان العلم اولى بالتقديم لا
محالة لانه الاصل والدليل ولذلك قال عليه السلام العلم امام العمل
والعمل تابعه ولما صار العلم اصلا متبوعا يلزمك تقديمه على العبادة
لامرين احدهما ليحصل لك العبادة وتسلم فانك اول ما يجب

ان تعرف

ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه وانما
تعرفه باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته
فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون
عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم فيما
نعني سوء الخاتمة في كتاب الخوف من كتاب احياء علوم الدين
ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما
امرت به لتفعل ذلك وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك فكيف
تقيم طاعة لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل
ام كيف تجتنب المعاصي لا تعلم انها معاصي لئلا توقع نفسك فيها
فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة والصوم وغيرها
يجب تعلمها باحكامها وشرائطها حتى تقيمها فربما انت تقيم على
شيء دائما مما يفسد عليك طهارتك وصلوتك او يخرجها عن كونهما
والتعين على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يعترض

بك

كل ... شيء يشغل قلبك عن الله عن ذلك وانت تسا
تعلمته فنبه هذا ان هذا الشأن ايضا على العبادات الباطنة التي
هي سلاح القلب يجب ان تعلمها من توكل والتفويض والرضاء والصبر
والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى
فيجب ان تعلم مذاهبها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط
والامل والرياء والكبر لتجتنب ذلك فان هذه وايضا نص الله على
الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه العزيز وعلى لسان محمد
صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين
واصبر وما صبرك الا بالله وقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي
اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الآيات كما نص على
الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصوم والصلوة
وتركت هذه الفرائض والامر بها من رب واحد في كتاب واحد

كالتفويض والصبر والرضا والتوبة والاخلاص

بل غفلت

بل غفلت عنها فلا تعرف شيئا منها فرضيتها ... اشتغلت بما لا حظ
فيه شغفا حتى صرت تشتغل بما لا يعنيك والمعروف منك او ممن اهمل العلوم
التي سماه الله تعالى في كتابه نورا وحكمة وهدى واقبل على ...
يكتسب الحرام ويكون مصلحة لحطام اما تخاف ايها المسترشد ان تكون
مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل بصلوة
التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء وربما انت مصر على معصية
من هذه المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام
وشراب ونوم تتقرب به الى الله تعالى فتكون في لا شيء واشد من
ذلك كله انك تكون في امر الامل والامل معصية محضة فتظنه
نية خير لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في بعض الوجوه وكذلك
تكون في جزع وسخط وتظنه تضرعا وابتهالا الى الله تعالى
وتكون في رياء محض وتحسبه حمدا لله تعالى او دعوة للناس
الى الخير فتأخذ تعد على الله تعالى المعاصي بالطاعة وتحسب الثواب

فتدخل

العظيم في مواضع فيكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة وهذه
مصيبة عظيمة فضيعة للعاملين من غير علم ثم مع ذلك كله
ان للاعمال الظاهرة علائق من المساعي الباطنة يصلحها او يفسدها
كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعلم هذه المساعي
الباطنة ووجه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز منها
وحفظ العمل عنها فقلما يسلم له عمل الظاهر ايضا فيفوته طاعة
الظاهرة والباطنة فلا يبقى في يده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران
المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير
من صلاة على جهل فان العامل بغير علم ما يفسد اكثر مما يصلح
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة العلم انه يلهم السعداء و
يحرم الاشقياء والمعني بهذا والله اعلم ان احد شقوته ان لا
يتعلم العلم ثم يسعى ويتعب في العبادة على خبط فما يكون
له في ذلك الا العناء نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع ولهذا عظمت

عناية

عناية العلماء الزهاد العاملين بالعلم رضي الله عنه خاصة من
بين سائر الناس فان مدار العبادة وملاك العبودية وخدمة الله
رب العالمين على ذلك وهكذا يكون نظر اولي الابصار واهل التوفيق
والتاييد فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل للعبد ولا
تسلم له الا بالعلم قبل ذلك فاذا تقديمه في شان العبادة واما
الخصلة الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع
يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته
ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فبالعلم يعرفه ويعظمه ويهابه
فاذا صار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق
وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله تعالى فعليك بالعلم
ارشدك الله يا سالك طريق الآخرة اول كل شيء والله ولي التوفيق
بفضله ورحمته ولعلك تقول قد ورد الخبر عن صاحب الشرع

صلوة الله عليه وسلامه انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم
فما العلم الذي طلبه فرض كل ربه وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله
في امر العبادة فاعلم ايدك الله ان العلوم التي طلبها فرض في الجملة
ثلثة علم التوحيد وعلم السر اعني علم ما يتعلق بالقلب
في مساعيه وعلم الشريعة واما حد ما يجب من كل واحد منها
فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما تعرف به اصول
الدين وهو ان لك الها عالما قادرا حيا متكلما سميعا بصيرا واحدا
لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان
والزوال والحدود لاثبات الحدث متفردا بالقدم عن كل محدث وان محمدا
صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله تعالى
وفيما ورد على لسانه من امور الآخرة ثم مسائل في شعار السنة
يجب معرفتها واياك ان تبتدع في دين الله ما لم يات به كتاب
ولا اثر فتكون مع ذلك على اعظم خطر فجميع ادلة التوحيد

سبحانه وتعالى

موجود

موجودة اصولها في كتاب الله تعالى وقد ذكرها شيوخنا رحمهم
الله في كتبهم التي صنفوها في اصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا
تامن الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فهذه
هذه وبالله التوفيق واما الذي يتعين فرضه من علم السر
فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى تحصل لك تعظيم الله تعالى
والاخلاص له والنية وسلامة العمل وعلامة ذلك ياتي في كتابنا
هذا ان شاء الله عز وجل واما من علم الشريعة فكل ما
يتعين لك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة
والصلوة والصيام فاما الحج والجهاد والزكوة ان تعين عليك فرضه
وجب عليك معرفة علمه لتؤدي بها والا فلا فهذا احد ما يلزم العبد
تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه بحيث لا بد له من ذلك
فان قلت هل يفترض علي ان اتعلم من علم التوحيد ما انقض به
جميع ملل الكفر والزمهم حجة الاسلام وانقض جميع البدع وارغمهم

حجة السنة فاعلم ان هذا فرض على الكفاية وانما يتعين عليك
ما تصحح به اعتقادك في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك
معرفة فروع علم التوحيد ودقائقه والاتيان على جميع مسائله
نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح في اعتقادك
فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والمناظ
رات والمجادلة فانه داء محض لا دواء له فاحترز منه جهدك فان
من ابتداء طلبه لم يفلح الا ان يتغمده الله برحمته ولطفه ثم اعلم
انه ان كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة يحل الشبهة ويرد
على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس
المبتدعة فقد سقط الفرض عمن سواه وكذلك لا يلزمك من معرفة
دقائق علم السر وجميع شرح عجائب القلب الا ما يفسد عليك عبا
دتك فيجب معرفته عليك لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد
والشكر والتوكل ونحو ذلك فيلزمك معرفته لتقوم به واما ما سواه فلا

وكذلك

وكذلك لا يلزمك معرفة سائر الابواب [illegible]
الفقه من البيوع والاجارات والطلاق والجنايات وانما ذلك
فرض على الكفاية فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل
تحصل بنظر الانسان عن غير معلم فاعلم ان الاستاذ فاتح ومسهل
والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على ما يشاء
من عباده فيكون معلمهم وهو معلمهم سبحانه وتعالى ثم اعلم ان
هذه العقبة التي هي عقبة العلم عقبة كؤود ولكن بها تنال المقصود
والمطلوب ونفعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها
فضل وكم من سلكها فزل وكم من تائه فيها متحير وكم من
حزين منقطع وكم من سلك قطعها في مدة يسيرة واخر متردد فيها
فيها سبعين سنة والامر كله بيد الله اما نفعه فعلى ما ذكرناه
من شدة الحاجة للعبد اليه وبناء امر العبادة كله عليه لا سيما
علم التوحيد وعلم السر ولقد روي ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام

كثير وقطعها

والا

فقال يا داود تعلم العلم النافع فقال الهي وما العلم النافع فقال ان
تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي
يقربك الي وعن علي رضي الله عنه انه قال ما يسرني ان لو مت طفلا وا
دخلت الجنة ولم اكبر فلم اعرف ربي فان اعلم الناس بالله اشدهم
خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله نصيحة وانما شددته فاجهد
نفسك في الاخلاص في طلب العلم ولكن الطلب طلب دراية لا طلب
رواية واعلم ان الخطر العظيم في طلبه فمن طلب العلم ليصرف به وجوه
الناس اليه ويباهي به الامراء ويباهي به السفهاء والنظراء او يجادل به
العلماء فتجارته بائرة وصفقته خاسرة وقال ابو يزيد البسطامي
رحمه الله عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا اشد الي
من العلم وخطره واياك وان يزين لك الشيطان فيقول اذا كان
قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك فقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت

اكثر

اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم فمن لم
يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا
عبد الله سبحانه عبادة ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين
فتشمر في طلب العلم بالبحث والتعليق والتدريس واجتنب الكسل
والملال والا فانت في خطر الضلال والعياذ بالله ثم جملة الامر انك اذا
نظرت في ذلك الى صنع الله تعالى وامعنت النظر علمت ان لك ولنا
الها قادرا عالما حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام
والارادة والعلم مقدسا عن سمة النقص وانه لا يوصف بصفات المخلوقين
ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه
شيء ولا يتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث والافات و
نظرت في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فعلمت انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه وما كان السلف يعتقدونه
من ان الله تعالى يرى في الاخرة لانه موجود وليس في جهة محدود وغير محدود

وان القرآن كلام الله غير مخلوق وليس بحروف متقطعة ولا اصوات
مختلفة اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه لا يكون في الملك
والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وارادته
ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا
يجب على الله تعالى لاحد من خلقه شيء فمن اثابه فبفضله ومن عاقبه
فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوة الله وسلامه
عليه من امور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير
والميزان والصراط فهذه اصول دين الصالحين رضوان عليهم على
اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع قبل نبوغ البدع
وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى
بغير دليل ثم نظرت في اعمال القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي تاتي في هذا الكتاب يحصل لك علمه ثم تعرف جملة
ما تحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم ونحوها فاذا فعلت

ذلك

ذلك فقد اديت فرض الله عليك الآن تعبدك به في باب العلم وقد خرجت
من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم فان عملت
بعلمك واقبلت على عمارة معادك كنت عبدا عالما عاملا لله
تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل ولك الشرف العظيم
ولعلمك القيمة الكبيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة
وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه
المسؤول ان يمدك وايانا بحسن التوفيق وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العقبة العلم

العقبة الثانية وهي عقبة التوبة
ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لامرين احد
هما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شؤم الذنوب يورث الحرمان
ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع عن المشي الى طاعة الله
والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات
والنشاط الى الطاعة وان الاصرار على الذنوب يسود القلوب

فتجدها في ظلمة وقساوة ولا خلوص ولا صفاء ولا لذة ولا حلاوة
وان لم يرحم الله تعالى ستجر صاحبها الى الكفر والشقاوة فيا
عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شؤم وقسوة فكيف
يدعى الى الخدمة من هو مصر على المعصية ومقيم على الجفاء
وكيف يقرب للمناجات من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات
ففي الخبر عن الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا كذب العبد تنحى الملكان عنه من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح
هذا اللسان لذكر الله فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا
ولا تخف اركانه لعبادة الله فان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا
صفوة وكل ذلك بشؤم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال
اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم بانك مكبول
وقد كبلتك خطيئتك فهذه والثاني من الامرين انما يلزمك التوبة ليقبل
منك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة

عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبا
دة التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك حال
لم تقضه ام كيف تترك لاجله الحلال والمباح وانت مصر
على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه
وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر العصاة المصرين
على معصية والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة النصوح
وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها
فاقول اما التوبة فانها هي سعي من مساعي القلب وهي
عند العلماء تنزيه القلب عن الذنوب قال شيخنا في حد التوبة
انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله
وحذرا من سخطه فلها اذا اربع شرائط احدها ترك اختيار
الذنب وهو ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب
البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه ربما يعود اليه ولا يعزم

على ذلك بل تردد فإنه ربما يقع له العود فإنه ممتنع عن الذنب
غير تائب عنه والثانية أن يتوب عن ذنب قد سبق عنه
مثله إذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب ألا ترى
أنه يصح القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح
بأنه كان تائبا عن الكفر إذ لم يسبق عنه كفر بحال وأن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك
والثالثة أن الذي سبق عنه يكون مثل ما يترك اختيارا في المنزلة
والدرجة لا في الصورة ألا ترى أن الشيخ الهرم الفاني الذي سبق
منه الزنا وقطع الطريق إذا أراد أن يتوب عن ذلك يمكنه التوبة
عند ذلك لا محالة إذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا
وقطع الطريق إذ هو لا يقدر الآن على فعل ذلك فلا يقدر على ترك
اختياره فلا يصح وصفه بأنه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز
عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق

في المنزلة والدرجة كالكذب والقذف والغيبة والنميمة إذ جميع
ذلك معاص وإن كان يتفاوت الإثم في حق كل واحدة بقدرها
لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون
منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك يصح منه
التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي
هو عاجز عن أمثالها اليوم في الصورة والرابعة أن يكون اختياره
لذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه وأليم عقابه مجردا
لا لرغبة دنياوية أو رهبة من الناس أو طلب ثناء أو صيت أو
ضعف في النفس أو فقر وغير ذلك فهذه شرائط التوبة وأركانها
فإذا حصلت واستكملت فهي توبة حقيقية صادقة وأما مقدماتها
التوبة فثلث أحديها ذكر غاية قبح الذنب والثانية ذكر شدة
عقوبة الله سبحانه وأليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالثة ذكر
ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فإن من لا يحتمل حر شمس ولطمة

شرطي ومقوض نملو كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية
ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار
في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط الله وعذابه فاذا
وظبت على هذه الاذكار وعاودتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك
على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل
اليس قد قال صلى الله عليه وسلم الندم التوبة ولم يذكر شيئا مما ذكرتم من شرائطها
وشدائدها يقال له اعلم اولا ان الندم غير مقدور للعبد الا ترى انه
يقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة
للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لما ذهب بذلك
جاهه عند الناس او ماله في نفاقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب
فعلمت بذلك ان في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله
سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات
التائبين وحالهم فانها اذا ذكر الاذكار الثلثة التي هي في مقدمات

التوبة فتندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنب وتبقى ندامته في
قلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب
وصفات التائبين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم التوبة فافهم
ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت كيف يمكن الانسان
ان يصير بحيث انه لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير كيف وا
نبياء الله صلوات الله عليهم وسلامه الذين هم اشرف خلق الله سبحانه
قد اختلف اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة املا فاعلم
ان هذا امر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص
برحمته من يشاء ثم شرط التوبة ان لا يتعمد ذنبا فاما ان وقع
منه بسهو وخطأ فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين
على من وفقه الله تعالى فان قلت انما يمنعني من التوبة اني اعلم من
نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة
في ذلك واعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم

فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود إلى الذنب واما الخوف من العود
فعليك العزم والصدق في ذلك وعليك الاتمام فان اتممت فذاك المقصود
من فضله وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السابقة كلها وتخلصت عنها
وتطهرت وليس عليك الا هذا الحديث الذي احدثته الآن وهذا هو
هو الربح العظيم والفائدة الكبرى ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك
من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية
فهذه هذه واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب
في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله سبحانه عليك
من صلوة او صوم او زكوة او كفارة او غيرها فتقضي ما امكنك منها
والثاني ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير
واكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود
الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل
واصعب وهي اقسام قد تكون في المال او في النفس او في العرض او

في الحرمة او في الدين فما كان في المال فيجب ان ترده عليه ان
امكنك فان عجزت عن ذلك لعدم او فقر فتستحل منه وان عجزت
عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل وان لم يمكن
فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله بالتضرع والابتهال اليه
ان يرضيه عنك يوم القيمة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص
او اوليائه حتى يقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله سبحانه
والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما في العرض فان ا
غتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت
ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا اذا لم تخش زيادة غيظ
او تهييج فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى
الله ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته والاستغفار الكثير
لصاحبه واما الحرمة بان خنته في اهله او ولده او نحوه فلا
وجه للاستحلال والاظهار لانه تولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله ليرضيه

عنك ويجعل له خيراً كثيراً زعماً لله فان امنت الفتنة والهيج
وهو عادل فتحلل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته
فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك عند من قلت ذلك له وان تستحل
من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله عز وجل جداً والتندم
على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء الخصوم
عملت وما لم يمكنك راجعت الى الله تعالى بالتضرع والابتهال و
الصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية الله تعالى يوم القيمة والرجاء
منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد
فانه يرضي خصماءه من خزائن فضله ولا حكم له فاعلم هذه حقها
راشداً فهذه جملة فاذا انت عملت ما وصفناه وبرأت القلب
عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها وان
حصلت منك تبرئة القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت وارضاء
الخصوم فالتبعات لازمة وسائر الذنوب سواها مغفورة

ولهذا الباب شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر فانظر كتاب
التوبة من كتب احياء علوم الدين اولاً وكتاب القربة الى الله ثانياً
وكتاب غاية الغور ثالثاً تجد فوائد كثيرة وشرحاً وافياً والذي
ذكرناه ها هنا هو الاصل الذي لا بد منه وبالله التوفيق

فصل

ثم اعلم بيّنا ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها مهم و
ضررها عظيم فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحق الاسفرائني
وكان من الراسخين في العلم العاملين انه قال دعوت الله
عز وجل ثلاثين سنة ان يرزقني توبة نصوحاً ثم تعجبت في
نفسي فقلت سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة
فما قضيت الى الآن فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول لي
اتتعجب من ذلك اتدري ماذا تسأل انما تسأل الله ان يحبك اما
سمعت الله سبحانه يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
اهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الائمة ولهممهم وسعة نظرهم

التوبة النصوح

على إصلاح قلوبهم والتزود لمعادهم وأما الفرق للخوف فإن
أول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله كفر وشؤم وشقوة
فإياك في تأخير التوبة وإياك أن تنسى أمر إبليس وبلعم بن باعورا
كان مبدأ أمرهما ذنبا وآخره كفرا فهلك مع الهالكين أبد الآبدين
فعليك رحمك الله بالتيقظ والجهد على أن ينقطع من قلبك عرق
هذه الإصرار وتخلص قلبك من هذه الأوزار ولا تؤمن قساوة
القلب وتأمل حالك فلقد قال بعض الصالحين إن سواد القلب
من الذنوب وعلامة سواد القلب أنك لا تجد للذنوب مفزعا ولا
للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستحقرن من الذنوب
شيئا فتحسب نفسك تائبا وأنت مصر على الكبائر فلقد بلغنا عن كهمس
بن الحسن أنه قال أذنبت ذنبا وأنا أبكي عليه أربعين سنة قيل
وما هو يا أبا عبد الله زارني أخ لي في الله فاشتريت له
سمكا فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين

فغسل

فغسل بها يده فناقش نفسك وحاسبها وسارع إلى التوبة وبادر
فإن الأجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع إلى الله وابتهل واذكر حال
أبينا آدم عليه السلام الذي خلقه الله تعالى بيده وحمله الجنة
على أعناق الملائكة لم يذنب إلا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى
حتى نودي أن الله تعالى قال له يا آدم أي جار كنت لك قال نعم الجار يا رب
قال يا آدم اخرج من جواري وضع عن رأسك تاج كرامتي فإنه
لا يجاورني من عصاني حتى أنه فيما روي بكى على ذنبه مائتي
سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه
وصفيه في ذنب واحد فكيف الحال لغيره في ذنوب كثيرة لا تحصى
وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف المصر المتعسف ولقد أحسن
من قال شعر يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب
فإذا تبت ثم نقضت وعدت إلى الذنب ثانيا فعد إلى التوبة مبا
درا وقل لنفسك لعلي أموت قبل أن أعود إلى الذنب هذه المرة وكذلك

تأكلنا وطابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ
التوبة ايضا والعود اليها حرفة فلا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب
ولا تيأس ولا يمنعنك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة
الخير اما تسمع قوله صلعم خياركم كل مفتن تواب اي كثير الابتلاء
بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله بالندامة والاستغفار
وتذكر قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه وبالله التوفيق **فصل** فجملة الامر
انك اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه
على ان لا تعود الى الذنب ابدا البتة ولكن ما كان منك على وجه
علم الله تعالى بصدق عزمك من قلب تقي وترضي الخصوم بما امكنك
وتقضي الفوائت بقدر ما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله بالابتهال
والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع
ركعات كما تحب وتضع وجهك بالارض في مكان خال لا يراك

الا الله

الا الله سبحانه ثم تجعل التراب على راسك وتمرغ وجهك الذي
هو اعز اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال
وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية عليها وتوبخها
وتقول اما تستحين يا نفس اما آن لك ان تتوبي الك طاقة في عذاب الله
سبحانه الك حاجة في سخط الله سبحانه وتذكر من هذا كثيرا وتبكي
ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهي عبدك الآبق
رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر
فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف
من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت
بنا رؤوف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو ان تقول يا مجلي عظائم
الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا ان يقول له كن فيكون
احاطت بنا ذنوبنا وانت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت
ادخرتك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر

ثم من الدعاء والتذلل فقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه
كثرة المسائل يا من لا يبرمه إلحاح الملحين أذقنا برد عفوك وحلا
وة مغفرتك إنك على كل شيء قدير وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وتستغفر لجميع ثم تصلي
للمؤمنين والمؤمنات وترجع إلى طاعة الله تعالى فتكون قد تبت
توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك أمك
وأحبك الله عز وجل ولك من الأجر والثواب وعليك من البركة
والرحمة ما لا يحيط به وصف واصف وحصل لك الأمن والخلاص و
نجوت من غضبه ومن غصة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة و
كنت قد قطعت هذه العقبة بإذن الله تعالى والله ولي الهداية
بمنه وفضله والحمد لله رب العالمين **العقبة** الثالثة وهي عقبة
العوائق ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بدفع العوائق حتى
تستقيم عبادتك وقد ذكرنا أن العوائق أربعة **أحدها** الدنيا و
دفعها بالتجرد عنها والزهد فيها وإنما يلزمك هذا التجرد والزهد

لأمرين

لأمرين أحدهما لتستقيم لك العبادة وتكثر فإن الرغبة في الدنيا تشغلك
أما ظاهرك فبالطلب وأما باطنك فبالإرادة وحديث النفس وكلاهما
يمنعان عن العبادة فإن النفس واحدة والقلب واحد فإذا اشتغل بشيء
انقطع عن ضده وإن مثل الدنيا والآخرة كمثل الضرتين إن أرضيت إحداهما
أسخطت الأخرى وإنهما كالمشرق والمغرب وبقدر ما تميل إلى أحدهما
أعرضت عن الآخر أما شغلها في الظاهر **فقد** روينا عن أبي الدرداء
رضي الله عنه أنه قال زاولت بين العبادة والتجارة فلم تجتمعا فأقبلت
على العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لو كانتا مجتمعتين
لأحد غيري لاجتمعتا لي لما أعطاني الله من القوة واللين فإذا الحديث
كذلك فاقنع بالكفاية واختر السلامة **وأما** شغلها بالقلب وهمها
الباطن لمكان الإرادة فيما روي عن النبي صلعم أنه قال من أحب دنياه
أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى
فبان لك أنه إذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بإرادتها فلا يتيسر لك العبادة

نحتها وان اذا زهدت فيها وتفرغت بظاهرك وباطنك تيسر لك العبادة
بل يعاونك اعضاؤك عليها ولقد روي عن سلمان الفارسي
رضي الله عنه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة
وتعاونت اعضاؤه في العبادة فهذه هذه والثاني من الامرين ان تكثر
قيمة عملك وتعظم قدره وشرفه فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان
من رجل زاهد قلبه خير واحب الى الله عز وجل من عبادة المتعبدين
الى آخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف وتكثر لذلك فحق لمن
طلب العبادة ان يزهد في الدنيا ويتجرد عنها فان قلت فما معنى
الزهد في الدنيا وحقه ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا زهدان
زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور له فالزهد الذي هو مقدور
ثلاثة اشياء ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك
اختيارها وارادتها واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو
برودة الشيء على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد

مقدمات للزهد الذي هو غير مقدور للعبد فاذا اتى به العبد بحقه
بان لا يطلب ما ليس عنده من الدنيا وان يفرق ما عنده منها
وان يترك بالقلب ارادتها واختيارها لا فاتها اورثته هذه برودة
الدنيا على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد ا
لحقيقي ثم اعلم ان اصعب الامور الثلاثة انما هو ترك الارادة بالقلب
اذ كم تارك لها بظاهره محب مريد لها بباطنه فهو في مكابدة ومقاساة
من نفسه شديدة والشان كله في هذه المسئلة قوله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا علق الحكم فيه بنفي الارادة
دون طلب والفعل المراد وهو قوله تعالى سبحانه عز من قائل من
كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الآخرة من نصيب وقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها وقوله سبحانه ومن اراد الآخرة الآية اما ترى ان الاشارة
كلها الى الارادة فامرها المهم اذا لكن العبد اذا واظب واستقام على الاولين

اعني الترك والتفريق فاول من فضل الله سبحانه ان يوفقه لدفع هذه الا
رادة والاختيار عن قلبه فانه المفضل الكريم عز وجل ثم الذي يبعث
على الترك والتفريق ويهون عليه ذلك ذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد اكثر
الناس القول في ذكرها فيقول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة
عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها وقال الشيخ الامام رحمه الله
لكني لن ينجي من هذه العقبة فانجح لان من نظر واقل احب وقال
ومن ترك الشيء لكثرة آفاته فيه اخذه لو ان تزيد به فالقول البالغ
فيه ما قاله شيخنا ان الدنيا عدوة الله سبحانه وانت محبه ومن
احب احدا ابغض عدوه قال ولانها في اصلها وسخة وجيفة الا ترى
ان آخرها الى القذر والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت
بطيب وطويت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العا
قلون فان قيل فما حكم الزهد في الدنيا اهو فرض او نفل فاعلم
ان الزهد عندنا يقع في الحلال والحرام فهو في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم

منزلة

منزلة هذا الحرام لمستقيم الطاعة بمنزلة الميتة للمستقذر لا يقدم عليها
الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرورة واما الزهد في الحلال فانما يكون
في منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة ولا يتناولون
منها الا قدر ما لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد
تناولها بحال وهذا معنى الزهادة على القلب بان ينقطع همته عنها
ويستقذرها ويستحقرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار وارادة
فان قلت كيف يمكن ان تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة
المطلوبة عند انسان بمنزلة النار وبمنزلة الجيفة المستقذرة المستحيلة
والبنية بنيتنا والطبع طبعنا فاعلم ان من وفق لتحقيق الخاص
علم آفاتها وقذرها في اصلها تصير عنده كذلك وانما يتعجب من
هذا الغيبوبة العميان عن عيب الدنيا وآفاتها المغترون بظاهرها
وزينتها وسأضرب لك مثلا لذلك فاعلم ان هذا مثل انسان
صنع له خبيصا بشرائطه من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة

من سمٍّ قاتل ولم يبصره ذلك رجلٌ ولم يبصره آخر ووضع الخبيص بين أيديهما
مزيّنًا مزخرفًا فالرجل الذي أبصر ما جعل فيه من سمٍّ يكون زاهدًا
في ذلك الخبيص لا يخطر بباله أن يتناول منه بحال البتّة ويكون
ذلك عنده بمنزلة النار بل أصعب لمكان ما يعلم من آفته فلا يغترّ بظاهره
وزينته وأمّا الرجل الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه اغترّ بظاهره
المزخرف وحرص ولم يصبر عنه فأخذ يتعجّب من صاحبه الزاهد
فيه ومن تماسكه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع العلماء المستبصرين
والجهّال الراغبين وأمّا حلال الدنيا وإن لم يطرح فيه السمّ لكن
بزق وامتخط فيه ثمّ زيّنه وصبغه فالرجل الذي شاهد منه ذلك
الفعل يكون مستقذرًا لذلك الخبيص نافرًا عنه لا يكاد يقدم عليه إلا عند
الضرورة وشدّة الحاجة إليه والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بآفته
مغترّ بظاهره حريص عليه مكبّ متعجّب محبّ فهذا مثال حال الدنيا مع
الراغبين أهل البصيرة والاستقامة وأهل الرغبة والغفلة وإنّما اختلف

حال الرجلين مع تساويهما في الطبع والبنية لموضع النظر بصارة وعلم
كان لأحدهما وجهل وغفلة وحمق كان للآخر فلو علم الراغب وأبصر ما علمه
الزاهد لكان زاهدًا مثله ولو جهل الزاهد وعمي عن الذي عنه الراغب
لكان راغبًا مثله فعلمت بذلك أنّ هذا التمييز لمكان البصائر دون الطبائع
فهذا أصل مفيد وكلام بيّن سديد اعترف به من عقل وأنصف والله
وليّ التوفيق والهداية بفضله فإن قيل فلا بدّ لنا من قدر من
الدنيا ليكون قوامًا لنا فكيف نزهد فيها فاعلم أنّ الزهد في الفضول
ممّا لا يحتاج إليه في قوام البنية فالمقصود القوام والقوّة حتى تعبد الله
سبحانه لا الأكل والشرب والتلذّذ والله تعالى إن شاء أقامها بشيء وإن
شاء أقامها بغير سبب كالملائكة ثمّ إن كان بشيء فإن شاء بشيء حاصل
عندك أو بطلبك وكسبك وإن شاء فبشيء غيره يسبّبه لك من حيث لا
تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى ومن يتّق الله يجعل له
مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب فإذًا لا تحتاج بحال إلى الطلب والإرادة

فان لم تقو على ذلك فطلبت ما اردت فانه نعم العون المعونة على عبادة الله تعالى
دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك
خيرا او طلبا للاخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك ونحو ذلك
فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق **العائق الثاني** الخلق
ثم عليك وفقك الله وايانا لطاعته بالتفرد والتجرد عن الخلق وذلك
لامرين **احدهما** انهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على
ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس
بعيد منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت
انت وحدك فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤ
لاء قال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار بيده الى السماء
وقام وتركني فالخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يمنعونك منها
بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله
طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجدها طلبت منهم الطاعة

والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم
يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني
منها اذا فعلت فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا
تعادوني عليها ان لم اتابعكم فلم يفعلوا فلما رايت ذلك فتركتهم
واشتغلت بخاصة نفسي **فاعلم ايها الاخ** في الدين ان
النبي صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت اهله
وامر فيه بالتفرد وكان عليه السلام لا محالة اعلم بالمصالح والنصح لنا
منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره
واقبل نصيحته ولا تشك في انه صلى الله عليه وسلم كان اعرف بما يصلح لك في
زمانك فلا تتعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك
لك ولا عذر لك والذي في الصفة الذي ذكره منها ما هو في الخبر
المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال
بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكروا الفتنة فقال اذا

صلى الله عليه وسلم

رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا
وشبك بين اصابعه فقلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك
قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في خبر اخر صلى الله عليه وسلم
قال في ذكر ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يأمن
الرجل جليسه وذكر ابن مسعود في خبر اخر الحارث ابن
عميرة انه قال له ان رفع عن عمرك فسيأتي عليك زمان كثير
خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى
فيه قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلاة
وقبلت الرشى ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا
فالنجا النجا ويحك ثم النجا قلت وجميع ما ذكر
في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر
لنفسك ثم ان السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين

اجمعوا على التحذير من زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك
وتواصوا به ولا شك انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان لم يزد
بعدهم خيرا انما كان بلا شك منه وامر وهو ما ذكر عن يوسف
بن اسباط انه قال سمعت الثوري يقول والله الذي لا اله
الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قلت انا ولكن حل في زمانه
ففي زماننا هذا وجبت وافترضت وعن سفيان الثوري ايضا
رضي الله عنه انه كتب الى عباد الخواص اما بعد فانك في زمان
كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله من ان يدركوه
فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة العلم
وقلة الصبر وقلة الاعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس
وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في العزلة راحة من خلطاء
السوء ومثل هذا قيل هذا الزمان الذي كنا نخوفه
عن قول كعب وعن قول ابن مسعود

أعمى وأصم من الأزمان ملتبس فيه لابليس تصويب وتصعيد
إن دام هذا ولم تحدث به غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
ولقد وجدت عن سفين بن عيينة رحمه الله قال قلت للثوري اوصني ٥٩
فقال اقلل معرفة الناس قلت يرحمك الله أليس قد جاء في الخبر اكثروا
من معرفة المؤمنين فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك
رأيت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرأيته بعد
موته في المنام فقلت يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل معرفة الناس
ما استطعت فان التخلص منهم شديد وقد قيل في هذا الخبر نظما وما
زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الورى واكشف
فما ان عرفت الناس الا ذممتهم جزى الله خيرا كل من لست اعرف
وقال الفضيل رحمه الله ان هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك
عالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال الثوري هذا زمان السكوت
ولزوم البيوت والرضا بما يقوت الى ان يموت وعن داود الطائي رحمه الله

قال

قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الجنة وفر من الناس فرارك من الاسد ٦٠
وعن ابي عبيدة ما رأيت حكيما قط الا قال في عقب كلامه ان احببت
ان لا تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب اكثر من ان
تحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه كتاب اخلاق
الابرار والنجاة من الاشرار فعليك يرحمك الله بالعجب العجاب وللعاقل يكفيه الاشارة
والله ولي التوفيق والهداية بفضله واما الخصلة الثانية
التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشأن ان الناس يفسدون عليك
ما يحصل لك من العبادة ان لم يعصم الله تعالى بسبب ما يعرض من
قبلهم من دواعي الرياء والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ رحمه الله
حيث قال رؤية الناس بساط الرياء وهؤلاء الزهاد قد خافوا على
انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر
انه هرم بن حيان قال لاويس جئنا للزيارة واللقاء فقال اويس
قد وصلتك بما هو لك انفع منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة

والقلة يعرض منهما التزين والرياء وقيل لسليمان الخواص قدم
ابراهيم بن ادهم افلا تأتيه قال لأن ألقى شيطانا ماردا احب
الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف منه ان اتزين
له واذا لقيت شيطانا اتمنع منه ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين
فتذاكرا مليا ثم دعوا الى اخر حديثهما فقال الشيخ للعارف ما اظنني
جلست مجلسا انا احوج له ارجى من مجلسي هذا فقال له العارف ولكني
ما جلست مجلسا انا اخوف من مجلسي هذا الست تعمد الى احسن
حديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك فوقع الرياء
فبكى الشيخ الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل بهذه الابيات

يا لوعتي من جفوة ما بها ... اخوف من ان يغضب الحاكم
ابارز الله بعصيانه ... وليس لي من دونه راحم
يا رب عفوا منك عن مذنب ... اسرف الا انه نادم

ابارز الله بعصيانه وليس لي من دونه راحم

فهذه حال اهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال اهل الرغبة

والبطالة

والبطالة بل حال اهل الشر والجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح
في فساد عظيم واصبح الناس في ضر كثير فانهم يشغلونك عن
عبادة الله تعالى حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون عليك
ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك منها شيء فلزمتك العزلة والتفرد
عن الناس والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى
الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس
فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم
رحمك الله وايانا ان الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة
للخلق اليه في العلم وبيان الحكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس
فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس علم
بالسنة او حاجة في معيشة لا بد له من ذلك فيواري شخصه ويلزم
كنه لا يعرف ولا يعرف فاما ان احب هذا الرجل ان ينقطع عن الناس
فلا يخالطهم في امر من الامور البتة من دين او دنيا او جماعة وجمعة

والاولى

أو غيرها مما يوله في ذلك من مصلحته و فراغه فإنه لا يسعه ذلك إلا باحد
أمرين أما أن يصير إلى الموضع لا يلزمه هناك كل هذه الفروض كرؤوس الجبال
وبطون الأودية ونحوها ولعل أحد الوجوه التي بعثت العباد للانتقال ٦٣
للمواضع البعيدة عن الناس وأما أن يتيقن بالحقيقة أن الضر
ر اللازم يلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض لعظمه من تركها فهو
حينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد رأيت أنا بمكة حرسها الله بعض المشايخ
المترددين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام والجماعة مع قربه منه
وسلامة حاله فحاورته في ذلك يوما من جهة أنه ما يتردد إليه فذكر
من عذره ما أشرنا إليه وهو أن ما يلحقه من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآ
ثام والتبعات في الخروج إلى المسجد الحرام ولقاء الناس قلت أنا وجملة
الأمر فلا عتب على المعذور والله تعالى أعلم بالعذر وهو عليم بذات
الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الأول بأن يشارك الناس في الجمعة
والجماعة وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فإن من أحب الطريق الثاني

بأن

بأن قطع عن الناس بمرة فسبيله الخروج إلى مواضع لا يتوجه عليه هذه
٦٤ الفروض فيها ثم إن طريق الثالث أن يكون مع الناس في مصر واحد
لا يحضر جماعة ولا جمعة لعذر يراه في ذلك من وزر أو تبعة عليه فإنه يحتاج
إلى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط
فالأولى لمن أراد سلامته واحتفظه والله ولي الهداية بفضله وأما الرجل
الثاني فرجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس إليه في أمر دينهم
لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة إلى الخير بفعل أو قول أو نحو ذلك
فلا يسع لهذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينتصب فقيه بينهم ناصحا لخلق الله ذابا
عن دين الله مبينا لأحكام الله فلقد روي عن رسول الله أنه قال إذا ظهرت
البدع وسكت العالم فقد لعن الله هذا إذا كان بينهم وإذا خرج من بينهم
فلا يجوز له أيضا ذلك ولقد حكي عن الأستاذ أبا بكر بن فورك أنه
قصد أن يتفرد بعبادة الله تعالى عن الخلق فيما هو في بعض الجبال إذ سمع صوتا ينادي
يا أبا بكر إذا صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله فرجع وكان هذا

سبب صحبة الخلق وذكر لي مأمون بن احمد ان الاستاذ ابا اسحق
رحمه الله قال لعبّاد بجبل لبنان يا أكلة الحشيش تركتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم
في أيدي المبتدعة واشتغلتم ها هنا بأكل الحشيش فقالوا له إنا لا نقوى على
صحبة الناس وإنما أعطاك الله قوة فلم يمكنا ذلك فصنف بعد ذلك
كتاب الجامع الجلي والخفي وكان لهم مع غزارة علمهم العقل الجم
والنظر الدقيق في سلوك طريق الآخرة واعلم أن مثل هذا الرجل المحتاج
إليه الناس في باب الدين يحتاج في صحبة الناس إلى أمرين شديدين أحدهما
صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله دائمة وال
ثاني أن يكون في هذا المعنى متجردا عنهم وإن كان الشخص
معهم فإن كلموه كلمهم وإن زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم
وإن سكتوا عنه وأعرضوا عنه اغتنم ذلك منهم وإن كانوا في حق
وخير ساعدهم وإن صاروا إلى لغو وشر خالفهم وهجرهم بل رد
عليهم وزجرهم إن رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات

والعيادات

والعيادات وقضاء الحاجات التي ترفع إليه ما أمكنه ولا يطالبهم با
لمكافات ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا لذلك و
يباسطهم بالبذل إذا قدر وينقبض عنهم في الأخذ إن أعطي ويحتمل
منهم الأذى ويظهر لهم البشر ويتحمل بما هو لهم ويكتم حاجته عنهم
فيقاسيها ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك أن ينظر لنفسه
خاصة فيجعل لها حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
إن نمت الليل لأضيعن نفسي وإن نمت النهار لأضيعن الرعية فكيف لي
بالنوم بين هاتين فهذا المعنى عرض له أبيات في الشعر وهي

فإن كنت في هدي الأئمة راغبا ... فوطن على أن تنكبك الوقائع
تبيت وقور عند كل كريهة ... وقلب صبور وهو في الصدر رائع
لسانك مخزون وأسرك كاتم ... وسرك مكتوم لدى الترب [illegible]
وذكرك مغمور وبابك مغلق ... وثغرك بسام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد ... وفضلك مدفون وطعنك شائع

وفي كل يوم انت جارح غصة ** من الدهر والاخوان والقلب طائع **
نهارك شغل الناس من غير منة ** وليلك شوق غاب عنه طلائعه **
فدونكه هذا الليل خذنه ذريعة ** ليوم عبوس عز فيه الذرائع **
نعم يكون بالنفس معهم وبالقلب مباعدا عنهم وذلك لعمري امر شديد
وعيش نكد فيه يقول شيخنا في وصية لابنه يا بني عش مع اهل زمانك
ولا تقتد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات
وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس وزايلهم ودينك لا
تكلمنهم فهذه نكتة مقنعة ثم اقول اذا هاج الفتن بعضها في بعض
وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا يوقرون نبيلا ولا يحفظون امر دينهم
البتة وترى الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم عذر في
العزلة والتفرد ودفن العلم واخاف ان ما ذكرناه هو هذا الذي ما نكابده
الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا حكم العزلة والتفرد

عن الناس

عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيمة وضرره وبالله ا
لتوفيق فان قيل اليس روي عن النبي انه قال عليكم بالجماعة
فان يد الله على الجماعة فان الشيطان ذئب الانسان ياخذ الشاذة
والناحية والقاصية قال عليه السلام ان الشيطان مع الفذ وهو
من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وورد ايضا الزم بيتك
وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في زمان الشر ولا تنا
قض في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله
وقوته وتوفيقه فاقول قوله صلى عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة
اوجه احدها يعني به في الدين والحكم اذ لا يجتمع هذه الامة
على الضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه الجمهور من الامة
والشذوذ عنهم باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم لصلاح
دينه فليس هذا من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة
بان لا ينقطعوا عنهم في جمعهم وجماعتهم ونحوها فان فيها

قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك
من بركات من الله ونظر منه بالرحمة ولذلك نقول ان حق المتفرد ان يشارك الناس
في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر الاوقات
لما فيهما من ضروب الآفة **والثالث** ان ذلك في غير زمان ا
الفتنة للرجل الضعيف في امر الدين فاما الرجل البصير القوي
في امر الله تعالى اذا رأى زمان الفتنة الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامة منه وامرهم بالعزلة فيه فالعزلة اولى له في الخلط من الفساد
والآفة وان لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة فاذا اراد ان
يتفرد عن الناس بمرة فيسكن بشاهق جبل او بطن مغارة لصلاح يراه
في دينه ولا ارى مثل هذا الرجل اينما كان الا ويمكنه الله عز وجل
من حضور الجماعات والجمعات وسائر جموع الاسلام فيحضر لئلا
يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله تعالى بمكان وان تغيرا
الناس وفسدوا وكذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام

انما كانت

انما كانت ويسيرون على الارض حيث شاؤوا فان الارض لهم قدم
واحد ومن الاخبار ان الارض تطوى لهم وينادون بالتحيات و
ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا به ولحسن
الله عزاء من غفل عن النظر في خلاص نفسه واعانه الطالب الذي
لم يصل الى المقصود كما انا وقد عرض لي في صفة حالي ابيات في الشعر

ظفر الطالبون واتصل الوصل ... وفاز الاحباب بالاحباب
وبقينا مذبذبين حيارى ... بين حد الوصال والاجتناب
نرتجي القرب بالبعاد وهذا ... نفس حال المحال بالالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الغم ... ونهدي الى طريق الصواب
يا طبيب السقام يا مرهم الجرح ... ويا منقذي من الاوصاب

فلنقبض الآن عنان القلم ونرجع الى المقصود من شأن العزلة فقد
خرجنا عن شرط الباب فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم
رهبانية امتي الجلوس في المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم

أن ذلك في غير زمن الفتنة كما ذكرناه و[illegible] أيضاً فإنه يجلس
في المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون بالشخص معهم وفي المعنى
متفرداً وهذا هو المعنى العزلة والتفرد الذي نحقق في شرحه لا التفرد بالشخص
والمكان فافهم ذلك رحمك الله وفيه يقول ابراهيم بن ادهم رحمه الله
كن واحداً جامعيا ومن ذلك ذا انس ومن الناس وحشيا فإن قيل
فما تقول في مدارس علماء الآخرة ورباطات الصوفية سالكي
طريق الآخرة والكون فيها فاعلم أن ذلك الطريق للسلف في هذه الثاني
لعامة أهل العلم والاجتهاد وذلك أنها جمعت للمعنيين والفائدتين
اللتين احديهما العزلة العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة
والمخالطة والمزاحمة في امورهم والثانية المشاركة معهم
في جمعهم وجماعتهم وتكثير شعار الإسلام فتحصل السلامة التي هي
للمتفردين والخير الكثير الذي هو لعامة المسلمين مع الناس فهم من العافية
والبركة والنصيحة فصار الكون فيها أعدل طريق وأحسن حال

والسلم سبيل ولهذا الشأن أقام أكثر العارفين بين الناس لنفعهم للناس
ولعبادة الله في باب الدين وقلة إذا اهم وشاهدة الخلق لآدابهم
وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فإن لسان الحال أفصح من لسان المقال
فصار ذلك أحسن تدبير في أمر الدين للعلم والعبادة وأحكم رأي فإن
قيل فما حال المريد مع المجتهدين المرتاضين أيصحبهم أم يعتزلهم
فاعلم أنهم إذا كانوا ثابتين على رسومهم الأولة وسيرتهم المعمورة
ومتبعين سلفهم فهم أجل إخوان في الله وأصحاب وأعوان على
عبادة الله سبحانه فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وإنما مثلهم مثل
ما يسمع من زهاد لبنان وغيرهم أن منهم جماعات يتعاونون على
البر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر وأما إذا تغيروا وتركوا
رسومهم واخلوا بطرائقهم المروثة عن أسلافهم الصالحين فحكم
هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته ويقعد عنهم
ويكف لسانه ويشاركهم في خيراتهم ويجانبهم في [illegible] سائر أحوالهم

وان فاتهم فيكون هو في عزلة من اهل العزلة متفردا من المتفردين

فان قلت فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم

الى مكان اخر لصلاح بدنه وقلبه ويجتنب افة تدخل عليه في

صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن

حصين يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان

الخارج بمنزلة الصحراء والعدو وفيها فرسان الشياطين عسكرا عسكرا 73

فيستلبونه ويستأسرونه فكيف حاله اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو

منه من كل جانب يفعل به ما شاء فاذن اللبث لهذا الضعيف الاولى لزوم

الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء واستوى

عنده الحصن والصحراء فلا حرج عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن

احوط على كل حال اذ لا يؤمن من الغلبات والاتفاقات السوء واذا

كان الامر بهذه الجملة فالكون مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة

اولى لمن تأتى وطالب الخير بكل حال وان لا مانع للقوي

البالغ

البالغ مبلغ الاستغناء عن التفرد دونهم فاعلم هذه الجملة و

تاملها تغنم وتسلم ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في

زيارة الاخوان في الله عز وجل وهو اصلة الاصحاب بالتلاقي

74 والتذكر فاعلم ان زيارة الاخوان في الله عز وجل من جملة

عبادة الله سبحانه وفيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل مع ما

فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما

ان لا تخرج في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي صلى الله عليه وسلم

لابي هريرة زر غبا تزدد حبا الثاني ان تحفظ حق ذلك بالتجنب

عن الرياء والتزين وقول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود

عليك وعلى اخيك الوبال ولقد حكي ان الفضيل وسفيان تذا

كرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا

ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف علي هذا

قال وكيف يا ابا علي فقال الست تعمد الى احسن حديثك فتحدثني به

وأنا أعمد إلى أحسن ما عندي فأحدثك وتزينت لي وتزينت لك
فبكى سفيان فيجب أن تكون مجالستك للإخوان وملاقاتهم على
مقدار قصد واحتياط ونظر لطيف فلا يقدح ذلك حينئذ في عزلتك
وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى أخيك بضرر وآفة
بل بخير كثير ونفع عظيم والله الموفق **فإن قلت** فما يعينني
 على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم أن الذي
يهون عليك ذلك ثلثة أمور أحدها استغراق أوقاتك في
العبادة فإن في العبادة شغلا وإن الاستيناس بالناس من علامات
الإفلاس فإذا رأيت نفسك تتطلع إلى ملاقات الناس وكلا
مهم من غير حاجة وضرورة فاعلم أن ذلك فضول ساقه
الفراغ والبطر فلقد أحسن من قال في هذا المعنى
إن الفراغ إلى السلامة قادني ... ولربما عمل الفضول الفارغ
فإذا أنت عانقت العبادة بحقها ووجدت حلاوة المناجات

فاستأنست

فاستأنست بكتاب الله تعالى واشتغلت عن الخلق استوحشت
عن صحبتهم وكلامهم وفي الخبر أن موسى عليه السلام كان إذا رجع
عن المناجات يستوحش من الناس وكان يجعل إصبعه في أذنيه
لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في التنغيص والوحشة في ذلك
الوقت كأصوات الطير فعليك بما قال شيخنا رحمه الله
 اتخذ الله صاحبا ... وذر الناس جانبا
قلب الناس كيف شئت ... تجدهم عقاربا
والثاني قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك أمرهم لأنك لا
ترجو نفعهم ولا تخاف ضرهم فوجوده وعدمه سواء والثالث
تتبع آفاتهم وتذكر ذلك وتكرره على قلبك فإن هذه الأ
مور الثلثة إذا لزمتها طار ذلك عن صحبة الخلق إلى باب الله تعالى
والتجرد لعبادته وجنبه البلى والزلل بإذنه وبالله التوفيق والعصمة
العائق الثالث الشيطان ثم عليك يا أخي بمحاربة الشيطان

وعونه وذلك لخصلتين احدهما لانه عدو لا مطمع فيه بمصالحة
والابقاء عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذا للامن من مثل هذا
العدو والغفلة عنه وذلك يتبين من كتاب الله تعالى احدهما
قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية انه مجبول
على عداوتك ومنتصب ابدا لمحاربتك فهو اناء الليل واطراف
النهار يرميك بسهامه وانت غافل فكيف يكون الحال ثم وقعت
معك نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى
باب الله سبحانه بفعلك وقولك وهذا ضد صنيع الشيطان وهمته
ومقصده ومراده وحرفته فصرت كانك قمت وشددت وسطك
لتغايظ الشيطان وتكايده وتناقضه فهو ايضا يشد وسطه
بمعاديك وبقاتلك وبماكرك حتى يفسد عليك شانك بل حتى يهلكك

ورأسا

رأسا اذ لا يقنع منك من جانبك بعد فانه الذي يهتدي ويقصد بالهلاك
الامن لا يغايظ ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل
الضلال واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف تظن قصده
لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فلهذا ادام الناس عداوة
عامة ومعك ايها المجتهد في العبادات والعلم عداوة خاصة وانه
اركان لهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك وهواك وله
اسباب ومداخل وابواب وانت عنها غافل ولقد صدق يحيى
بن معاذ رحمه الله حيث قال الشيطان فارغ وانت مشغول
والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنسى الشيطان وهو لا ينساك
ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذا لا بد من محاربته وقهره
والا فلا تأمن الفساد والهلاك فان قلت فبأي شيء احارب
الشيطان وبأي شيء اقهره وادفعه فاعلم ان لاهل هذه الصناعة
في هذه المسألة طريقين احدهما ما قال بعضهم ان التدبير في دفع

الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فان الشيطان كلب سلطه الله
عليك وان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك
وربما يظفر بك فيعقرك ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه
عنك اولى **والثاني** ما قال اخرون الطريق المجاهدة والقيام عليه
بالدفع والرد والمخالفة قلت والذي عندي ان الطريق العدل
الجامع في امره ان تجمع بين طريقين فتستعيذ بالله اولا من شره
كما امرنا وهو الكافي شره ثم اذا رايناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء 79
من الله سبحانه وتعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا في امره سبحانه وتعالى
ويرى صبرنا كما انه يسلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية امرهم و
شرهم ليكون لنا حظا من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما
قال الله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء و
وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره فيما

قاله علماؤنا رحمهم الله في ثلثة اشياء **احدها** ان تعرف وتعلم
مكايده وحيله فلا يتجاسر عليك حينئذ كاللص اذا علم ان صاحب
الدار قد احس به فر **والثاني** ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك
بذلك ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه ولع بك و
فان اعرضت عنه سكت **والثالث** ان تديم ذكر الله تعالى
بلسانك وقلبك فلقد قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى في جنب
80 الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم **فان قلت** فكيف يعلم مكا
يده وكيف الطريق الى معرفة ذلك **فاعلم** ان له وساوس بمنزلة
السهام التي ترمى بها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها
والثاني ان له حيلا هي بمنزلة الشبكات التي نصبها وذلك يتبين بمعرفة
المكايد ومواضعها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا رحمهم الله ابوابا في
الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار
ولكنا نذكر لك ان شاء الله تعالى من كل واحد منها اصلا كافيا.

اذا اعتصمت به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب ابن ادم
ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام وسلط في مقابلته
شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له الوسواس ولدعوته وسوسة فا
الملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعو الا الى الشر في قول اكثر
علمائنا ولقد حكي عن شيخنا رحمه الله ان الشيطان ربما يدعو الى الخير
وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل او يدعوا ٨١
الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره
فهذان داعيان قائمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع قلبه ويحتج
بذلك على ما روي في الاخبار انه اذا ولد ابن ادم مولود قرن الله
سبحانه به ملكا وقرن به شيطانا فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن ادم
اليسرى والملك جاثم على اذن قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال النبي
للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني نزلة بالتعقب
من قولهم لم بالمكان ولم به اذا نزل به ثم ذكر الله تعالى و

بنية

في بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات وتميل الى اللذات كيف
كانت من حسن او قبيح فذلك هو النفس الصارفة الى الآفات
فهذه ثلث دعوات ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي آثار
تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها
من الجهات وسميت خواطر لاخطارها بعد خطرات التزع ونحوها
وحدوثها جميعا في قلب العبد بالحقيقة من الله سبحانه لكنها اربعة
٨٢ اقسام منها ما يحدثه الله تعالى في القلب ابتداء فيقال له الخاطر
فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى النفس
وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه يقال له
الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه يقال له
الوسوسة وتنسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هي في الحقيقة
حادثة عند دعوته فهي كالسبب في ذلك ولكنها تنسب اليه فهذه اربعة
اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذه التنبيه ان الخاطر الذي من قبل الله

ابتداءً قد يكون خيراً اكراماً والزاماً للحجة وقد يكون شراً امتحاناً
وتغليظاً للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا خيراً
اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي يكون من قبل الشيطان
لا يكون الا شراً اغواءً واستزلالاً واستدلالاً وقد يكون بالخير مكراً
واستدراجاً والذي يكون من قبل النفس يكون بالشر وما لا
خير فيه تمنياً وتعنتاً ولقد وجدت عن بعض السلف ان النفس ٨٣
ايضاً قد تدعو الى الخير والمقصود منه شر كما الشيطان فهذه انواعها
ثم بعد هذا انك تحتاج الى معرفة ثلثة فصول لا بد لك منها البتة
وفيها المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة
والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوائي وما ذا بين
بينهما فان لكل واحد منهم دفعاً على نوع اخر والثالث
الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني او
هوائي ليتبع ما يكون من الله تعالى ومن الملهم ويجتنب

ما يكون

ما يكون من الشيطان وكذلك الهوى على قول من يقول به
واما الفصل الاول فقال علماؤنا رحمهم الله اذا اردت ان تعرف
خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة
فيتبين لك حاله الاول ان تعرض الامر الذي خطر بالك على الشرع فان وافق ٨٤
جنسه فهو خير وان كان بالضد بخصه او شبهه فهو شر فان لم
يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان في فعله اقتداء بالصالحين
الصالحين فهو خير وان كان بالضد فهو شر فان لم يتبين لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس
والهوى فانظر اذا كان مما تنفر عنه النفس نفرة الطبع لا نفرة خشية
وترهيب فاعلم انه خير واذا كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة
لا ميل رجاء الى الله تعالى وترغيب فهو شر اذ النفس الامارة
بالسوء لا تميل باصلها الى الخير فباحد هذه الموازين اذا نظرت
وانعمت النظر يتبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى
ولي الهداية بفضله انه جواد كريم فاما الفصل الثاني

إذا أردت أن تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان
وبين خاطر شر يكون من هوى النفس أو من الله تعالى
ابتداء فانظر فيه من ثلاثة أوجه **أحدها** إن وجدته
مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله تعالى أو من هوى النفس
وإن وجدته مترددا مضطربا **فاعلم** أنه من الشيطان وكان بعض
العارفين يقول مثل هوى النفس مثل النمر إذا حارب لا يرجع 85
إلا بتمتع بالغ وقهر ظاهر أو مثل الخارجي الذي يقاتل لدينه لا يكاد
يرجع حتى يقتل **ومثل الشيطان** مثل الذئب إذا طردته من جانب
دخل من جانب آخر والثاني إن وجدته عقيب ذنب
أحدثته فهو من الله تعالى إهانة وعقوبة لشؤم ذلك الذنب
قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخي
الإمام هكذا أي تؤدي الذنوب إلى قسوة القلب أي لها خاطر
ثم تؤدي إلى القسوة والتيه وإن كان هذا الخاطر ابتداء لا عقيب

ذنب

ذنب كان مثل فاعلم أنه من قبل الشيطان هذا في الأكثر لأنه يبتليك
بدعوة الشر ويطلب الإغواء بكل حال والثالث إن وجدته لا
يضعف ولا يقل بذكر الله ولا يزول فهو من الهوى وإن وجدته
86 يضعف ويقل بذكر الله سبحانه فهو من الشيطان كما ذكر
في تفسير قوله من شر الوسواس الخناس إن الشيطان جاثم على
قلب ابن آدم إذا ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل وسوس
وأما الفصل الثالث إذا أردت أن تفرق بين خاطر خير
يكون من الله سبحانه وما يكون من الملك فانظر في ذلك من ثلاثة أو
جه وإن كان قويا مصمما فهو من الله سبحانه وإن كان مترددا
فهو من الملك إذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب ووجه
ويعرض عليك كل نصح رجاء إجابتك ورغبتك إلى الخير **والثاني** منها
إن كان عقيب اجتهاد بمثل وطاعة فهو من الله تعالى قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى

وإن كان مبتدأ فهو من الملك في الأغلب والثالث منها أنه إن كان
في الأصول والأعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وإن كان
في الفروع والأعمال الظاهرة فهو من الملك في الأكثر إذ الملك لا
سبيل له إلى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم وأما الخاطر الخير الذي
يكون من قبل الشيطان استدراجا إلى شر يربي عليه فلقد قال
شيخنا رحمه الله انظر إذا وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر ببالك
مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع أمن لا مع خوف
ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة فاعلم أنه من الشيطان فاجتنبه
وإن وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا
مع عجلة ومع خوف لا مع أمن ومع بصارة العاقبة لا مع عمى
فاعلم أنه من الله أو من الملك قلت أنا وكان النشاط خفة
في الإنسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه في ذلك وأما
التأني محمود إلا في مواضع معدودة وذكرت في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم

العجلة من الشيطان إلا في خمسة تزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين
إذا وجب وتجهيز الميت إذا مات وقرى الضيف إذا نزل والتوبة
من الذنب إذا أذنب وأما الخوف فيحتمل أن يكون في إتمامه وأدائه
على وجهه وصحته وقبول الله تعالى إياه وأما بصارة العاقبة
بأن تبصر وتستيقن أنه خير ورشد ويحتمل لرؤية الثواب في العقبى
ورجائه فاعلم ذلك موفقا فهذه جملة الفصول الثلث التي لا بد لك
من معرفتها في فصل الخواطر فارعها وانعم النظر فيها ما استطعت فإنها
من العلوم اللطيفة والأسرار الشريفة في هذا الباب والله الموفق بفضله
وأما فصل الحيل والمخادعات من الشيطان في جميع ذلك فمثاله أن
مكايد الشيطان مع ابن آدم في الطاعة في سبعة أوجه أحدها أن
ينهاه عنها فإن عصمه الله تعالى ورده بأن يقول إني لمحتاج إلى ذلك
جدا إذ لا بد لي من تزود من هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها
ثم يأمره بالتسويف فإن عصمه الله تعالى ورده وقال ليس أجلي بيدي

على اني ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان لكل
يوم عملا ثم يأمره بالعجلة فيقول له عجل عجل لتفرغ لكذا وكذا
فان عصمه الله تعالى ورده بان قليل العمل التام خير من كثير مع
النقصان ثم يأمره باتمام العمل مرايات للناس فان عصمه الله تعالى
ورده بان قال ايش اعمل بمرايات الناس الا يكفيني رؤية الله تعالى
ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعظمك وما ايقظك وما
وما افضلك فان عصمه الله تعالى ورده فان قال المنة لله تعالى
في ذلك دوني فهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله
ولولا فضله فماذا كان قيمة هذا العمل في جنب نعمته الله تعالى
علي وفي جنب معصيتي له ثم يأتيه من وجه سادس وهو اعظمها
وهو لا يتقي عليه الا المتيقظ وهو اذ يقول اجتهد انت في السر تعالى
سيظهره عليك ويلبسك على الملا واراد بذلك ان يوقعه في الريا فان عصمه الله تعالى
ورده بان قال يا ملعون الى الآن كنت تأتيني من وجه افساد عملي والآن تأتيني من جهة اخلاصه الله تعالى

فهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا
وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه وما ابالي ان اظهره لك للناس ام لم
يظهر فليس بايديهم شيء ثم يأتيه من وجه سابع ويقول
لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل
وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله تعالى ورده بان
قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر للعبودية والرب
اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد الا انه ينفعني العمل كيف
ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب
وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كيلا الوم نفسي على ان الله تعالى
لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني اذا دخلت النار
وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق
وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقي الله تعالى
على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ودخل الجنة لا لاستحقاقه
قطعا

لعله الجنة ولكن لوعد الله الصادق ولهذا المعنى اخبر الله تعالى
عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ
رحمك الله فان الامر كما ترى وشمر وقس عليه سائر الافعال والاحوال
واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العائق الرابع النفس

ثم عليك يا طالب العبادة عصمك الله واياي بالحذر من هذه النفس
الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها
اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما
ذلك لامرين احدهما انه عدو من داخل واللص اذا كان من البيت
عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القائل بقوله

نفسي الى ما ضرني داعي ۞ تكثر اسقامي واوجاعي ۞
كيف احتيالي من عدوي ۞ اذا كان عدوي بين اضلاعي ۞

والثاني انها عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه لا يكاد يرى عيبه كما قال القائل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ۞ ولكن عين السخط تبدي المساويا ۞
فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيب لها وهي
في عداوتها واضرارها فانها اي شيء كما تقع في فضيحة وهلاك وهو
لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى بفضله ويعين عليها بمعونته ثم اقول
تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك اذا نظرت وجدتها
اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وافة وقع في الخلق
من اول الخلق الى يوم القيمة من قبل هذه النفس اما بها وحدها واما
بعونها ومشاركتها ومساعدتها فاول معصية الله تعالى كان ابليس
وكان سببه بعد القضاء السابق هو النفس بكبرها وحسدها القته
بعد عبادة ثمانين الف سنة فيما قيل في بحر ضلال يغرق الى ابد الابدين
اذ لم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شهوة بل كانت النفس بكبرها وحسدها
فعلت به ما فعلت ثم ذنب ادم وحواء عليهما السلام وطاعتهما شهوة
النفس في الاكل وحرصها على البقاء والحيوة حتى اغترا بقول ابليس فكان ذلك اذا

بعون النفس وشر كيدها حتى سقط بذلك من جوار الله تعالى وقرار
الفردوس واخرج الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة
وتلقى ما لقي ولقي اولاده ما لقوا من ذلك البعد الى ابد الابدين ثم
حديث هاروت وماروت كان السبب في شانهما الشهوة ثم
حديث قابيل وهابيل كان السبب في امرهما الحسد والشح ثم
هلم جرا الى يوم القيمة ثم لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة
ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة
وخير واذا كان عدو بهذا القرب بكليته فحق للعاقل ان يقصده
بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت
فما الحيلة لنا في هذا العدو وما التدبير في امره فبين لنا ذلك
فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم ان امرها عسير صعب اذ لا يمكن
قهرها بمرة كسائر الاعداء اذ هي المطية والالة وقيل ان اعاديا دعا
لان شان خير فهذا كتب الله تعالى كل عدو كل الا نفسك ولا يمكن

يعني كتب الله العدو اي بينه صرفه واذله وكبته لوجهه

اهمالها بمرة لمكان ضررها فتحتاج الى حط يقابل اليها بتيقن
وتقوية بقدر ما تحتمل فعل الخير وتضعفها وتجنبها على حد لا تتعدى
فانت من امرها في علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها انه
تلجمها بلجام التقوى والورع لتحصيل الفائدتين جميعا فان قيل
ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها
حتى تمكنها منها فاعلم ان الحيلة فيها الصادق والحيلة تذليلها حتى
تنقاد اللجام قال علماؤنا رحمهم الله انما تذلل النفس وتكسر هواها بثلثة
اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الحرون تلين اذا نقصت
من علفها والثاني حمل اثقال العبادات فان الحمار اذا زيد
في حمله مع نقصان علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة بالله
عز وجل والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص اما تسمع قول
يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح

في هذه الاية الجمحة اي يعني النفس

بأن الله يجيره باذنه الى ان يكفيها ويليها ويأمن من شرها
فان قلت فبين لنا الآن ما هي التقوى حتى نعلمه فاعلم اولا
ان التقوى كنز عظيم فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف
وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وغنم جسيم وملك
عظيم فكانما خير الدنيا والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة
التي هي التقوى وتامل ما في القرآن من ذكرها فكم علق بها من
خير وكم وعد عليها من اجر وثواب وكم اضاف اليها من سعادة
فانا اعد لك اثنا عشر خصلة من جملتها اولها المدحة والثناء
قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني
الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا
يضركم كيدهم شيئا والثالث التاييد والنصرة قال الله تعالى
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال والله ولي المتقين
والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال تعالى
95

ومن

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
والخامس اصلاح العمل قال الله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا
قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادس غفران الذنوب قال الله تعالى
96
ويغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله قال الله تعالى ان الله
يحب المتقين والثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
والتاسع الاكرام والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين
آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة والحادي عشر
النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى
وسيجنبها الاتقى الثاني عشر الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت
للمتقين فهذه كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى فلا
تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يخص بها هذا الشأن من امر العبادة
ثلاثة اصول احدها التوفيق والتاييد اولا وهو للمتقين

كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام

التقصير وهي للمتقين يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل

وهو للمتقين كما قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة

على هذه الامور الثلثة التي فيقف اولا حتى يحصل ثم الاصلاح للتقصير

حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلثة التي تتضرع فيها العابدون

الى الله تعالى ويسألون يقولون ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا

تقبل منا وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى والكريم اذا وعد

سأل لم يسأل فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله سبحانه

بل اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد صدق القائل

من اتقى الله فذاك الذي ❊ سيق اليه المتجر الرابح

وكتب بعضهم هذا البيت

لا يتبع المرء الى قبره ❊ غير التقى والعمل الصالح

من عرف الله فلم تغنه ❊ معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بغير التقى ❊ والعز كل العز للمتقي

وكتب بعضهم على بعض القبور

ليس زاد سوى التقى ❊ فخذي منه او دعي

ثم تأمل اصلا واحدا وهو انه هب انك قد تعبت جميع عمرك

في العبادات وجاهدت وكابدت حتى حصلك ما تمنيت اليس الشان

كله في القبول وقد علمت ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين

فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روي عن عايشة رضي الله عنها

انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الدنيا ولا اعجبه

احد الا ذو تقى وعن قتادة انه قال مكتوب في التورية يا ابن ادم اتق

الله ونم حيث شئت وبلغني عن عامر بن قيس انه بكى عند موته وكان يصلي

كل يوم وليلة الف ركعة ثم يأوي الى فراشه ويقول يا مأوى

كل شر والله ما رضيتك لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك فقال قوله تعالى

انما يتقبل الله من المتقين ثم تأمل نكتة اخرى وهي اصل الاصول

فبكى يوما

ومن ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني
بوصية قال اوصيك بوصية الله رب العالمين الاولين والاخرين
قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
قلت أليس الله سبحانه اعلم بصلاح العبد من كل احد واليس هو
انصح له وارحم وارأف من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي 99
اصلح للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر
واولى بالحال وانجح للمآل من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله تعالى
امر بها عباده واوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما
اوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع الاولين والاخرين من عباده
في ذلك واقتصر عليها علمت انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر
دونها وانه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتا
ديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته
ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا

والاخرة

والاخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية
وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن ابصر بالنعد واهتدى وعمل
بذلك واستغنى والله ولي الهداية والتوفيق بمنه **فان قلت** لقد عظم
قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة الى معرفتها فلا 100
بد الان من تفصيلها **فاعلم** ان الامر كذلك وحق لها ان يجل قدرها
ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى معرفتها ولكنك تعلم ان كل خطير نفيس
وكبير يحتاج في اجتلابه الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية
وجهد شديد كما ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة
في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لتفعل كبير وشان
عظيم فان المكارم على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤنات
والله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله
هو الرؤوف الرحيم الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم جدا في
هذه الخصلة حتى تعلمها ثم شمر للقيام بها واستعن بالله عز وجل

حتى تعلموا ما تعلمه فان الشأن كله في ذلك والله تعالى ولي التوفيق
والهداية بفضله فنقول اعلم انى لا بارك الله في دينك وزادك
في يقينك ان التقوى في قول شيوخنا رحمهم الله هو تبرئة القلب
عن ذنب لم يسبق عنك منه حتى يحصل للعبد من قوة العزم على تركها
وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال شيخنا رحمه الله وذلك ان اصل ١٠١
لفظة التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية
يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت عن الواو تاء كما هو في
الوكلاف والتكلان ونحوهما فقيل تقوى فاذا ما حصلت وقاية بين
العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على
ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك التبرئة فالعزم والتوطين
تقوى والتقوى في القرآن يطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية
والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا

اتقوا الله

اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوه حق طاعته وقال
مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر
والثالث بمعنى التبرئة للقلب عن الذنوب فهذه هي الحقيقة في التقوى
دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله و
يخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى ١٠٢
فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تبرئة القلب
كما ذكرناه ثم قال رحمه الله منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك
وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله تعالى
في اية واحدة وهو قوله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى الاول تقوى عن الشرك والايمان الذي
في مقابلته التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها
اقرار عقود السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية

ولا اقرار في هذه المنزلة فتقابلها بالاخبات وهو الطاعة والانبات
عليها فيكون منزلة مستقيمي الطاعة في الاية جمعت ذكر المنازل الثلث
منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة مستقيمي الطاعة فهذا ما قال العلماء
في بيان معنى التقوى قلت انا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال
وهو ما روي في الخبر المشهور عن النبي انه قال انما سمي المتقون متقين ١٠٣
لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس فاحببت ان اجمع بين ما قال
علماؤنا رحمهم الله وبين ما جاء في الخبر عن النبي فيكون حدا جامعا ومعنى
بالغا فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف ضررا في دينك الا ترى
انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من
شراب او طعام او فاكهة او غيرها ثم انه الذي يخاف منه الضرر
في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال
بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام والطغيان
وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانها فمن اراد ان

الضرر

٨

الضرر في امر دينه اجتنب عن الخطر وامتنع عن فضول الحلال حذرا
ان يجره الى محض الحرام على ما قاله صلى الله عليه وسلم يعني لتركهم ما لا بأس
به حذرا عما به بأس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام
فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية
١٠٤ والفضول هذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها على موضع علم السر
فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة
العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشرور
ضربان شر اصلي وهو كل ما نهاه عنه كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي
وهو ما نهي عنه تاديبا وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوة
فالاول تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار والثاني تقوى خير
وادب يلزم بتركها الحبس والحساب واللوم والتعيير فمن اتى بالاول
فهو في الدرجة الادنى من التقوى وهو منزلة مستقيمي الطاعة ومن اتى بالاخرى
فهو في درجة الاعلى العليا من التقوى وذلك منزلة مستقيمي المباح فاذا

جمع العبد بينهما على اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى
وقام بحقها وجمع كل خير فيها فهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك
أمر الدين وذلك بمنزلة الأدب على باب الله تعالى فهذا هو معنى التقوى وبيا
نها في الجملة فافهم موفقا إن شاء الله تعالى **فإن قلت** فنفصل لنا الآن
هذا المعنى في النفس واستعماله فيها فإن الحاجة جاءت من هنالك لنعلم كيف نلجم
هذه النفس بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى فأقول أجل
إنما تحصيل في أمر هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية
وتصونها عن كل فضول فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله في عينك
وأذنك ولسانك وبطنك وفرجك وجميع أركانك وألجمتها بلجام التقوى ولهذا
الباب شرح يطول وقد أشرنا إليه في إحياء علوم الدين وأما الذي
لا بد منه هاهنا أن نقول من أراد أن يتقي الله فليراع الأعضاء الخمسة فإنها الأ
صول وهي العين والأذن واللسان والقلب والبطن فيحرص عليها
بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضررا في الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف في حلال

وإذا

فإذا حصل صيانة هذه الأعضاء فمرجو أن يكفي سائر أركانه ويكون
قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى فمست الحاجة إلى بيان
خمسة فصول لهذه الأعضاء وتفصيل ما يحرم في حق كل واحد منها على
قدر ما يليق بهذا الكتاب **الأول** فصل العين ثم عليك وفقك الله
وإيانا بحفظ العين فإنها سبب كل فتنة وآفة وأذكر في أمرها ثلاثة أصول
كافية **أحدها** ما قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون واعلم أني تأملت
هذه الآية فإذا فيها مع قصرها ثلاثة معان عزيزة تأديب وتنبيه
وتهديد **فأما التأديب** فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصا
رهم ولا بد للعبد من امتثال أمر سيده والتأدب بأدبه وإلا فيكون سيئ
الأدب بحجب فلا يؤذن له في حضور المجلس والقبول بالحضرة فافهم
هذه النكتة وتأمل ما تحتها فإن فيها ما فيها وأما التنبيه فقوله تعالى
ذلك أزكى لهم فيطلق على معنيين والله أعلم أحدهما كما أطهر لقلوبهم

في الركعة والطهارة والتزكية البقيع والثناء كذلك في خبره والسر لأن
الركعة في الأصل التي فتنبه على أن في غض البصر تطهير القلب والتكثير للطاعة
والخير وذلك أنك إذا لم تغض بصرك وأرخيت عنانها تنظر إلى ما لا يعنيك فلا تخلو إما أن تقع
عينك على حرام فإن تعمدت فذنب كبير وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك إن لم يرحمه الله تعالى
ولقد روي أن العبد لينظر النظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الأديم في الدباغ لا 107
ينتفع به أبدا وإن كان مباحا فربما يشتغل قلبك به وجاءك الوسواس والخواطر بسببه
ولعلك لا تصل إليه فتبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وإن كنت لم تر
لكل كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام و
عن نبينا إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها فتنة
لصاحبها وقال ذو النون نعم العون حاجب الشهوات غض الأبصار
ولقد أحسن القائل حيث يقول ه

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا ه لقلبك يوما أتعبتك المناظر ه
رأيت الذي لا كله أنت قادر ه عليه ولا عن بعضه أنت صابر ه

فاذا

فإذا مهما كنت غاض البصر حافظ العين لا تنظر إلى ما لا يعنيك ولا
يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوساوس
سالم النفس عن الآفات متزايدا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله
الموفق بمنه وفضله وأما التهديد فقوله تعالى إن الله خبير بما يصنعون وقال
108 تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا التهديد لمن خاف مقام
ربه فهذا أصل واحد من كتاب الله تعالى **الأصل الثاني** ما روينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام
إبليس فمن تركها أذاقه الله طعم عبادة تسره وإن وجدان حلاوة العبادة
ولذة المناجاة من العابدين مكان وهذا شيء مجرب عليه وحققه من عمل
به أنه إذا امتنع عن النظر إلى ما لا يعنيه يجد لذة العبادة وحلاوة الطاعة وللقلب
صفوة لم يجدها قبل ذلك **الأصل الثالث** أن تنظر إلى كل عضو منا
عضاؤك يصلح لماذا ويتنظر لماذا فعلى حسب ذلك تصونه وتحفظه فا
لتحل نفسي في رياض الجنة وقصورها وأبدل بكأس الشراب وتناول الثمار

وكذلك في سائر الاعضاء والعين انما هي للنظر الى رب العالمين وليس في الا
كرامة اجل واكبر من ذلك تحقيق للنبي ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة
ان يصان ويحفظ ويعز ويكرم فمن الاصول الثلثة اذا احسنت التأ
مل فيها كفتك المؤنة في هذا الفصل والله التوفيق **الثاني** فصل الاذن
فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين احدهما ما روي
ان المستمع شريك القائل وذلك قيل تحرز من الطرق اوساطها وعليك
بالجانب المشبه واسمع صمت عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه والثاني ان ذلك يهيج
الخواطر والوساوس في القلب ثم من ذلك تبدل الاشتغال في البدن
فما يبقى في العبادة شيء ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان
وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمنه النافع ومنه الضار فمنه
الغذاء وبعضه السم بل ان بقاء الكلام وتجربته اكثر وابلغ فان الطعام يزول
عن المعدة بنوم وغيره وغاية بقائه زمان ثم يزول وله دواء يزول

اثره

اثره من نفس الانسان واما الكلام الذي وقع في قلب الانسان
ربما يبقى معه جميع عمره لا ينساه فان كان شيا رديا فلا يزال يتعبه
ويعنته ويورد بسببه خواطر في القلب ووساوس تحتاج ان يعرض
عنها ... لعن تذكرها بقلبه فيستعيذ بالله تعالى من شرها ولا يؤمن
ان يحمله على بلية ويحركه حتى يقع آخر الامر في آفة عظيمة بسبب ذلك
ولو كنت حفظت سمعك عن لا يعنيك كنت عن هذه المؤن مستريحا فلينظر الانسان العاقل
في ذلك والله التوفيق **الفصل الثالث** اللسان ثم عليك بحفظ
اللسان وضبطه وقيده فانه اشد الاعضاء جماحا وطغيانا واكثرها
فسادا وعدوانا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله اذ قال قلت
يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه ثم قال
هذا وعن يونس بن عبيد اذ قال اني وجدت نفسي تحتمل مؤنة الصوم
في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك كلمة لا يعنيها فعليك اذا بالتحفظ
جدا وبذل المجهود وتلك خمسة اصول احكمها ما روى ابو سعيد

الخدري رضي الله عنه ان ابن ادم اذا اصبح اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان
وتقول نشدناك الله ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا
قلت والمعنى فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في اعضاء الانسان با
لتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما يحكى عن مالك بن دينار انه قال
اذا رايت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك
قد تكلمت فيما لا يعنيك الاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم به الانسان
من غير ذكر الله تعالى فعلى الاقل يكون لغوا يضيع الوقت به وذكر ان حسان
بن ابي سنان مر على غرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه وقال
يا نفس المغرورة تسالين عما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى
للمتقين بانفسهم ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله
المستعان ولقد صدق القائل واحسن بقوله

وان اذا هممت بالخوض في الباطل ❊ فاجعل مكانه تسبيحا ❊
واغتنم ركعتين في ظلمة الليل ❊ اذا كنت فارغا مستريحا ❊

الاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يحفظ لسانه واكثر
كلامه يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر كلامه كثر سقطه
والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات كما قيل ان مثل من يغتاب الناس
مثل من نصب منجنيقا فهو يرمي حسناته شرقا وغربا وبلغنا عن الحسن
انه قيل يا ابا سعيد ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال
بلغني انك اهديت الي حسناتك فاحببت ان اكافئك وذكرت الغيبة
عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امي لانها احق بحسناتي
وذكر انه فاتت حاتم الاصم ليلة القيام فعيرته زوجته فقال ان
اقواما صلوا الليلة البارحة فلما اصبحوا نالوا مني فيكون صلاتهم يوم
القيمة في ميزاني الاصل الرابع السلامة من افات الدنيا على ما قال
سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال اخر لا تبسطن لسانك
فيفسد عليك شانك وقيل ❊ احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ❊
فان البلاء موكل بالمنطق ❊ ولابن المبارك ❊

من بنصب منجنيقا

احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء في قتله — اخر
وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله — وعن ابن المطيع
لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عليه له اغاره
فصنه عن الخنا بلجام صمت يكن لك من بليات ستاره ... [illegible]
الثالث رب كلمة تقول لصاحبها دعني والاصل الثاني [illegible]
الآخرة وعاقبتها واذكر فيه نكتة واحدة وهي انه لا يخلو اما ان
تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من فضول لا يعنيك فان كان
محظورا ففيه عذاب الله عز وجل الذي لا طاقة لك به ولقد روينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي نظرت في النار فرأيت قوما
يأكلون الجيف قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم
الناس ولقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القرآن وطلاب
العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة انهما
اذن في الغيبة خراب القلب من الهدى قال الله تعالى العصمة

من ذلك بفضله هذا الكلام في المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها
شغل كرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للعبد ان يستحيي منهما فلا
يؤذيهما قال سبحانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والثاني
ارسال كتاب الى الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله
عز وجل وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا ... ويحك
انما تملي كتابا الى ربك فانظر ماذا تملي والثالث قراءته بين يدي الملك
الجبار يوم القيامة على رؤوس الاشهاد بين الشدائد والاهوال عطشان عريان
جيعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لماذا
قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العالمين وقد قيل اياكم والفضول
فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب
اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء ان شاء الله تعالى
الفصل الرابع في القلب ثم عليك بحفظ القلب واصلاحه وحسن النظر
في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطرا واكثرها اثرا

واذ فهمنا امر القلب وصلاحها ونذكر فيه خمسة اصول متبعة
احدها قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله
تعالى انه عليم بذات الصدور وكم ذكره وكم كرر ذكره في القرآن وكفى
باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد لان للمعاملة
مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا يعلمه من قلبك الاصل
الثاني قول رسول الله ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم وانما
ينظر الى قلوبكم فالقلب اذا موضع نظر رب العزة فيا عجبا
ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار
والادناس ويزينه كيلا بما امكنه كيلا يطلع مخلوق فيه على عيب
ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره
ويزينه كيلا يطلع الرب جل ذكره على دنس فيه وشين وآفة وعيب
بل يهمله بفضائح واخباث وقبائح واقذار لو اطلع عليها الخلق لهجروه
وتبرأوا منه وطردوه والله المستعان الاصل الثالث

ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها تبع له فاذا
صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقام الرعية ويبين
ذلك بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي
القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه
الاصل الرابع ان القلب خزانة كل جوهر نفيس للعبد وكل معنى
خطير اولها العقل واجلها معرفة الله عز وجل التي هي
سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة
عند الله ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد
ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وسائر الاخلاق
الشريفة والخصال التي بها يحصل تفاضل الرجال على ما فصلناه في
شرحنا في كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة
ان تحفظ وتصان عن الادناس والآفات وتحرس وتحمى من السراق

والقطاع وتكرم فتحمل ضرر وبعد الكرامة لئلا يلحق تلك الجواهر
العزيزة دنس ولا يظفر عدوها والعياذ بالله الاصل الخامس انك تأملت
حاله فوجدته لخمسة احوال ليست لغيره من اعضاء ابن آدم احدها
ان العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له فان الشيطان بجانبه على
قلب ابن آدم فهو بمنزلة الالهام والوسوسة يتعاورانه بالد
بالدعوتين من الملك والشيطان والثاني ان الشغل له الحرب ان
الهوى والعقل كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده
فهو ابدا محل تجاذبهما وتقابلهما وبناء قضيهما وحقيق بالشغل والتحرز
والتحصن ولا يغفل والثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر له
كالسهام لا تزال تقع فيه كالمطر لا تزال تمطر ليلا ونهارا لا ينقطع
ولا انت تقدر على منعها فتمتنع وليس هو مثل العين التي بين جفنين
وليس كاللفظة التي هي بين جفنين تغمض فتستريح او تكون في
موضع خال او ليل مظلم فتكفي رؤيتها او اللسان الذي هو وراء الحجابين

والعقل وجنوده

الاسنان

الاسنان والشفتين وانت المقتدر على قمعه وتسكينه بل القلب
غرض الخواطر لا تقدر على منعها والتحفظ عنها بحال ولا هي
تنقطع عنك بوقت ثم النفس مسارعة الى اتباعها والامتناع
عن ذلك بجهد الطاقة امر شديد ومحنة عظيمة والرابع ان علاجه
عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى يدب فيه آفة ويتغير له
حاله فتحتاج ان تبحث عن ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق
النظر وكثرة الرياضة والخامس سرعة الآفات اليه اسرع فهو الى الانقلاب
اقرب ولقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر في غليانها ولذلك قيل
ما سمي القلب الا من تقلبه والرأي يزري بالانسان اطوارا ثم
اذا زل القلب والعياذ بالله فزلته اعظم ووقوعه اصعب
فاقطع ادناه قسوة ووصل الى الحجر الله سبحانه وتعالى ومنتهاه ختمه
وكفر بالله اما تسمع وكان من الكافرين في قوله تعالى ابى واستكبر
كان الا كبير بقلبه فحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تعالى

ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى
بقلبه فحمله على ذلك الذنب المشؤم بشؤمه أما تسمع قوله تعالى
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم
في طغيانهم ولهذا المعنى أيها الرجل خاف عباد الله الخواص
على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم إليها قال الله تعالى
في وصفهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار جعلنا
الله وإياكم من المعتبرين بالعبر والمهتدين بمواضع الخطر الموفقين
لإصلاح قلوبهم بحسن النظر إنه أرحم الراحمين فإن قيل إن هذا
القلب لمهم جدا فأخبرنا عن المعاني التي تصلحه وتمنعه عن الآفات
التي تعرضه فيفسده عسى أن نوفق للاجتهاد في العمل بذلك يقال له
اعلم أن تفصيل هذه المعاني لطويل لا يحتمله هذا الكتاب وأئمة
الآخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه الثلاثة لا غير
وقد ذكروا فيما تحتاج إليه من ذلك سبعين خصلة محمودة

وفي

وفي أضدادها المذمومة مثلها من الأفعال والمساعي الواجبة
والمحظورة ونحو ذلك في سائر تفاصيلها وأمر في أثنائها أهمة
أمور يدريه وانتبه عن رقدة الغافلين فتفطن لنفسه فلا يكون
تحصيل جميع ذلك والعمل به عليه كثيرا أذى وفقه الله تعالى فقد
ذكرنا منها نبذة في شرح عجائب القلب من كتاب إحياء علوم
الدين وأتينا على شرح جميع عجائبها بتفصيلها وكيفية علاجها في
كتاب أسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم
الفائدة ولا ينتفع به إلا فحول العلماء في علم الآخرة وموضع هذا
الكتاب أن ينتفع به المبتدي والغبي والضعيف فنظرنا في الأ
صول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب والحاجة إليها ماسة
ولا غنية منها البتة في شأن العبادات فوجدناها أربعة
أمور وهي مداحض العابدين وآفات المجتهدين وهي فتن
القلب وبليات النفوس وتعوق وتشين وتفسد وتتلف وأربعة
القلوب

فى مغالبتها فيها قوام العبد وانتظام العبادة وصلاح القلوب
فالآفات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر
والمناقب الاربع قصر الامل والتأنى فى الامر والنصيحة للخلق
والتواضع والخشوع فهذه هى الاصول فى اصلاح القلوب وفسا
دها والنكتة التى عليها المدار فليبذل المجهود فى التحرز عن هذه الآ
فات والتحصيل لهذه المناقب لكى المثوى وتظفر بالمقصود ان
شاء الله تعالى وها نخبرك عن هذه الآفات بكلمات وجيزة متفقة
اما طول الامل فانه العائق عن كل خير وطاعة والجالب لكل
شر وفتنة فانه الداء العضال الذى يوقع الخلق فى انواع البليات
واعلم انه اذا طال املك هاج منه اربعة اشياء احدها ترك
الطاعة والكسل فيها فتقول سوف افعل والايام بين يدى
ولا يفوتنى ذلك ولقد صدق داود الطائى رحمه الله حيث يقول
من خاف الوعيد قرب اليه البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال

يحيى

يحيى بن معاذ الرازى الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق
والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثانى ترك التوبة
وتسويفها فتقول سوف اتوب وفى الايام سعة وانا شاب وسنى
قليل والتوبة بين يدى وانا قادر عليها متى رمتها فربما اغتاله الحمام
على الاصرار واختطفه الاجل قبل اصلاح العمل الثالث الحرص على الجمع
والاشتغال بالدنيا عن الآخرة فتقول اخاف ان افتقر فى الكبر وربما اضعف
عن الاكتساب ولا بد لى من شىء فاضل ادخره لمرض او هرم او فقر فهذا
ونحوها مما يحرك الى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق
فتقول ايش آكل وايش البس وهذا الشتاء وهذا الصيف قد اقبل ولا شىء ولعل
العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد من قوت وغنية
عن الناس فهذه وامثالها يحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها و
المنع لما عندك منها وهو اقل ما فى الباب ان يشغل على صاحبه ...
قلبك وتضيع عليك وقتك وتكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل

روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال فعلني سر يعمر لم ادركه قبل وكيف
ذلك يا ابا ذر قال ان املي حاو زاجلي والرابع القسوة في القلب
والنسيان للاخرة لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما
قال علي ابن ابي طالب اخوف ما اخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع
الهوى الا ان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق
فاذا اشغل قلبك وصار فكرك وتعظيم قلبك في حديث الدنيا واسباب
الدنيا العيش في صحبة الخلق ونحو ذلك فيقسو القلب من هذه وانما رقة
القلب وصفوتها انما هي بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال
الاخرة واذا لم يكن شيء من ذلك فمن اين يكون لقلبك رقة وصفوة
قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولانك اذا طال لك
املك قلت طاعتك وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك
وقاسى قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة فذهبت اخرتك والعياذ بالله
ان لم يرحم الله تعالى فاي حال اسوء من هذه واي افة اعظم من هذه وكل

هذا بسبب طول الامل فاما ان تفرغت امك وتحببت من نفسك
صورتك وتذكرت حال اقرانك واخوانك الذين اختطفهم الموت
في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يا نفسي الغرور
واذكري ما قال عون بن عبد الله كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا
لا يدركه لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره اما سمعت قول
عيسى ابن مريم عليهما السلام الدنيا ثلثة ايام امس مضى ما بيدك شيء
وغدا لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابي ذر
رضي الله عنه الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة
لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت في ساعة
الى ساعة ثم قول شيخنا رحمه الله الدنيا ثلثة انفاس نفس مضى عملت فيه
ما عملت ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس نفسا فجاءه
الموت قبل الاخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر
في هذه النفس الواحد الطاعة الله قبل ان يفوت والى التوبة فلعلك

فلعلك في نفس الثاني تموت ولا تهتم بالنفس الى نفس فلعلك لا تبقى
لتحتاج اليه فيكون وقتك مما تعنى والهم فضلا وما عسى ان يهمك الا
بالرزق ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحد اما تذكرين ما
قال النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة اما تعجبون من اسامة المشتري الوليدة
بمئة الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت
اني ارفعها ولا لقمة لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت والذي
نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل
ان تذكرت من هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار رجوت
اسلك باذن الله تعالى فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك
فتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فيخف عليك حسابك ويتبعك
فيقع قلبك في تذكير الآخرة واهوالها وما هو من نفس الى نفس تصير
اليها وتعاينها واحدا واحدا فتزول عنك القسوة وتبدو لك الرقة و
الصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم عبادتك

ويتقوى

ويتقوى الرجاء في ان تسعد عاقبتك فتنطق بالمراد في الآخرة وكل ذلك
بعد فضل الله تعالى بسببه هذه الخصلة التي هي قصر الامل ولقد حكي
ان زرارة بن ابي اوفى قيل له في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ
فيما عندكم قال الرضا وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل الجهد
في هذا الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم في صلاح القلب والنفس والله
ولي التوفيق بفضله ورحمته واما الحسد فانه المفسد للطاعات
الباعث على الخطيئات وانه الداء الذي يبتلى به الكثير من القراء والعلماء
فضلا عن العامة والجهلاء حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة العرب
بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق
بالجهل والعلماء بالحسد وان بلية بلغ شومها الى العلماء حتى اوردتهم
النار لحقيق ان يحذر منها واعلم ان الحسد يهيج خمسة اشياء احدها
افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل

رستاق اهل قرية صغيرة بلا جمع

النار الحطب والنمام غير مأمون والشرور على ما فاتك وهب الحاسد
ثلث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا
نزلت قلت اما حسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسد
فقال ومن شر حاسد اذا حسد كما امر بالاستعاذة من الشيطان و
الساحر فانظر كم له من الشر والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان والساحر
على ان لا يستعان عليه ولا يستعاذ الا بالله رب العالمين والثالث
التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر ومعصية كما قال ابن السماك
لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم و
والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من احكام الله تعالى وقد قال
سفين الثوري رحمه الله عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا
على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا تكن حا
سدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراده
وينصر على عدو كما قال حاتم الاصم الطاعن غير ذي دين والعائب

غير عابد النمام غير مامون والحسود غير منصور قلت الحسود
كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله عن عباده المسلمين وكيف
ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنين ولقد احسن ابو يعقوب
فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم واحوا لنا
وان الحسد داء يفسد عليك الطاعات ويكثر شرك ومعصيتك
ويمنعك راحة النفس ونور القلب ومناه والنصر على الاعداء
والظفر بالمطلوب فاي داء يكون ادوى منه فعليك بمعالجة
نفسك من ذلك والله ولي التوفيق **واما الاستعجال** والنزق
فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي فان فيها آفات
اربع احدها ان يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة فربما يستعجل
في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر وييأس ويترك الجهاد فيحرم
تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك
المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد

روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دينكم هذا متين فاوغل
برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر ان استعجل
نصل ولبعضهم يقول شعر قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
والثاني انه يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر الدعاء
ويجد فربما يستعجل الاجابة في غير وقتها فلا يجدها فيبئس ويسام و
يترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة انه يغضب على انسان
فيغيظه ويعجل بالدعاء عليه فيهلكه بسببه وربما تهيج وزعم الحد
فيقع في معصية وهلاك قال الله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه
بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان اصل العبادة وملاكها الورع
والورع اصله التنظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو
بصدده من اكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا
في الامور غير متأن ولا متثبت فيها غير متبين لم يقع منه تحقق
ونظر في الامور كما يجب ويبادر الى كل كلام فيقع في الزلل

والى

والى اكل كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل امر فيفوته الورع
والمنجح في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الاستعجال الانقطاع عن
منازل الخير وحرمان الحاجات والهلاك الشنيع وهلاكه ثم خطر
فوت الورع الذي هو راس المال فحق للانسان ان يهتم لها با
الازالة واصلاح النفس بعد ذلك والله تعالى ولي التوفيق بفضله و
منه والحمد لله رب العالمين واما الكبر فانه الخصلة المهلكة راسا اما
تسمع قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين ملعنة هذه الخصلة
من ابليس والخصال التي يقدح في عمل وتنقص بفرع وانما تقدح بالاصل
ويقدح في الدين والاعتقاد واذا قويت وغلبت لا تتدارك والعياذ
بالله ثم اول ما يهيج منها على صاحبها اربع افات احدها حرمان
الحق وعمى القلب عن معرفة ايات الله تعالى وفهم احكام الله تعالى
قال الله تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
قال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الثانية المقت

والبغض من الله تعالى قال الله تعالى انه لا يحب المستكبرين وروي ان موسى
عليه السلام قال يا رب من ابغض من خلقك اليك قال من تكبر قلبه و
غليظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه والثالثة
الخزي والنكال في الدنيا والآخرة قال حاتم اجتنب ان يدركك
الموت على ثلاثة على الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله من الدنيا
حتى يريه الهوان من اراذل اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله
من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا والمختال
لا يخرجه الله من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق
اورثه الله ذلا بحق والرابع النار والعذاب في العقبى على ما روي ان
الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا
منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التي
تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره فيختص
به لا يشارك فيه واما الكبر خصلة يفوتك معرفة

الحق

الحق وفهم آيات الله واحكامه الذي هو اصل الامر كله ثم ثمرة
كل المقت من الله سبحانه وتعالى والخزي في الدنيا والنار في الآخرة
لا يسع للعاقل ان يغفل عن ذلك في نفسه فلا يصلحها بالتدابير
الا بالحذر والتحرز عنها والاستعاذة بالله تعالى من ذلك وهو
جل وعز ولي العصمة عنه فهذه بعض ما حضرنا في هذه الخصال
الاربع من الآفات وحسب للعاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا اهمه
امر قلبه وخاف في امره به والله الموفق فان قلت فاذا كان الامر
بهذه المنزلة من آفات هذه الخصال فلن يتم التحفظ منها
فلا بد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف كيفية الطريق
الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحد منها كلاما كثيرا وقد
اشبعنا القول في كتاب الاحياء والاسرار ونحن
نذكر ها هنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغناء عنه فنقول و
بالله التوفيق اما الامل فقال العلماء رحمهم الله

ان اراد تعلق الحياة للوقت المتراخي بالحكم فقصر الامل ترك الحكم
بعينه بان يقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى مع لطيف الذكر او شرط
الصلاح في الارادة فاذا ان وقت حياتك باني اعيش بعقبى
آن او ساعة ثانية او بيوم ثان بالحكم والقطع فانت امل 123
ولكن منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية
والعلم من الله تعالى فتقول اعيش ان شاء الله او ان علم الله اني
اعيش فقد خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل وكذلك
ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت امل وان قيدت
ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل
من حيث تركت الحكم فيه فعليك ترك الحكم في ذكر البقاء وارادته
والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك
وتثبيت القلب عليه فافهم راشدا ان شاء الله عز وجل
ثم الامل ضربان امل العامة وامل الخاصة

فامل

فامل العامة ان يريد الحيوة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها
وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى ويلههم
124 الامل فسوف يعلمون واما الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل
خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح فيه فانه ربما يكون
خير بعينه لا يكون للعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في
عجب وآفة لا يتوهمها بها هذا الحين فاذا ليس للعبد اذا ابتدأ في صلاة
او صوم او غيره ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يتيقن ذلك
قطعا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء وشرط
الصلاح ليتخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه ولا تقولن
لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال
العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب من الاتساع لان لنا في
بالنية المحمودة ان يكون ممتنعا من الامل فهذا حكم الامل
فالنية المحمودة اذا قدمتها لحاجة اليها والا مر فتتابع

انما الاصل قال رحمه الله تعالى في حدها التام الجامع
ان النية الصحيحة المحمودة ارادة اخذ عمل مشتبه به قبل سؤال
الحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء فان
قيل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء
في الاتمام يقال له لان الخطر في الابتداء ليس بشيء مناخ عنك ١٢٥
ولكن الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت مناخ فيه الخطران
خطر الوصول لا تدري هل تصل الى ذلك ام لا وخطر
الفساد لا تدري هل فيه لك صلاح ام لا فاذا وجب الاستثناء لخطر
الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادات
على هذا الوصف تكون حينئذ نية محمودة مخرجة عن
حد الامل وآفته فتأمل جدا فافهمه واعلم ان حصن قصر
الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجاءة الموت
واخذه على غفلة وغرة وهو في غرور وفتور فا

حتفظ

حتفظ بهذه الجملة وحصلها ثم فقها فانك اليها لحاجة ماسة
ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال وملاحات الرجال والله
والله الموفق واما الحسد فهو ارادة زوال نعمة الله عن اخيك المسلم
مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو
١٢٦ غبطة وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام لا حسد الا في اثنين الخبر
اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا لتقاربهما
فان لم يكن له فيها صلاح فاردت زوالها عنه فلا لك غيرة ايضا
فهذا الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد النصيحة وهي
ارادة بقاء نعمة الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل كيف
ان له فيها صلاحا او فسادا لينصحه او يحسده فاعلم انه قد يكون
لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن ما يجري مجرى العلم في هذه المواضع
ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال النعمة احدا من المسلمين او ابقاءها الا
النصيحة مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فائدة

واما خص النصيحة المانع من الحسد فهو بذكر ما اوجب الله تعالى
من موالات المسلمين وحص هذا الخصن ذكر ما عظم الله تعالى من حق المؤمن
ورفع الحق قدره وماله عند الله من الكرامات العظيمة في العقبى وما كان
فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر في الطاعات
والجماعات ثم ما يرجو اشفاعته في الآخرة فهذه نحوها مما يبعث
على النصح لكل مسلم وتجنب الحسد اذ الحسد في ذمه.. اعطاه الله تعالى
والله ولي التوفيق بفضله واما العجلة فانها المعنى الراتب
في القلب الباعث على الاقدام على الامر باقل خطر دون التو
قف فيه والارتياب والاستطلاع منه والاطلاع عليه بل الاستعجال
في اتباعه والعمل به وضدها الاناة وهي المعنى الراتب في القلب
الباعث على الاحتياط في الامور والنظر فيها والتاني في اتباعها
والعمل بها واما التوقف ففضله التعسف قال شيخنا رحمه الله الى
بين التعسف والتاني التوقف قبل الدخول في الامر حتى يستبين

رشد

رشد والتاني بعد الدخول فيه حتى توفي لكل جزء منه حقه
ثم معقد مات الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعرض
الانسان وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما في التلف في
القلب من السلامة وما في التعسف والاستعجال من الندامة
والملامة هذه وامثالها ما يبعث على التاني والتوقف في الامور
ويمنع من الاستعجال والتعسف والله تعالى ولي العصمة برحمته
واما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع النفس واستعظامها وهو
التكبر اتباعه والتواضع خاطر في وضع النفس احتقارها والتواضع
اتباعه ولكل واحد منهما قسمان عام وخاص فالتواضع العام هو
الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته
الترفع عن ذلك والتواضع الخاص هو تمرين النفس على قبول
الحق ممن كان وضيعا او شريفا والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك
وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع العام ان تذكر

١٣٩

مبداك ومنتهاك وما انت عليه في الحال من عرض وب الآفات
والاقذار كما قال بعضهم اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة
وانت فيما بينهما حامل العذرة ومحض التواضع الخاص هو ذكر
عقق بين العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية لمن
استبصر والله الموفق بمنه الفصل الخامس في البطن وحفظه
ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد
واكثرها مؤنة وشغلا واعظمها ضررا واثرا لانه المنبع والمعدن في
المعدن ومنه يهيج الامور في الاعضاء من قوة وضعف وعفة
وحرص ونحوه فعليك اذا بصيانته عن الحرام والشبهة اولا ثم عن
فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله تعالى فاما الحرام
والشبهة فانما يلزمك البحث عنه لثلاثة امور اولها حذار ان تحرقه
الله تعالى سبحانه قال الله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت

فالنار

١٤٠

فالنار اولى به والثاني ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق
للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر فلست ترى
الله تعالى منع الجنب عن الدخول في بيته والمحدث عن مس كتابه
قال عز من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل ولا يمسه الا المطهرون
مع ان الجنابة والحدث مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام وفي
نجاسة السحت والشبهة ومتى يدعى الى خدمة الله تعالى العزيز ذكره
الشريف قدسه كلا لن يكون ذلك ابدا وقال يحيى بن معاذ الرازي
الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء واسنانها الحلال
فاذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا يفتح الباب فاذا لم يفتح باب الخزانة
كيف يصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان اكل الحرام و
الشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول
منه فاذا لا يكون له من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم
كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع

والظما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه
حرام فهذه هذه ولئن سلمنا فضول الحلال فانه آفة العبادة وبلية
اهل الاجتهاد واني تأملته فوجدت فيه عشر آفات الاولى ان كثرة الاكل
قسوة القلب وذهاب نوره وروي عن النبي صلعم انه قال لا تميتوا القلوب
بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء 141
ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب
تغلي فالبخار يرتفع اليه فكثرة البخار تكدره وتسوده والثانية
ان في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهيجانها وانبعاثها للفضول في الفساد
فان الرجل اذا كان شبعان اشتهت عينه النظر الى ما لا يعنيه من حرام
او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان الكلام والفرج الشهوة
والرجل المشي اليه وان كان جائعا فتكون الاعضاء كلها ساكنة هادية
لا تطمع الى شيء من هذا ولا تنشط ولقد قال الاستاذ ابو جعفر رحمه الله
ان البطن عضو ان جاع هو شبع سائر الاعضاء يعني تسكن ولا تطلبك

بشي

بشي وان شبع هو جاع سائر الاعضاء وعلة ان تنشط افعال
الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه اذ دخل الحرام خرج الحرام
وان دخل الفضول خرج الفضول لان الطعام بذر الافعال وفي الافعال
تنبت بذره ومنه والثالثة ان في كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان
143 البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الداراني رحمه الله انه قال اذا اردت
حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل
وهذا اعلم ظاهر عليه من اخبره والرابعة ان في كثرة الاكل قلة العبادة
لانه اذا اكثر الانسان الاكل قلت العبادة لانه اذا اكثر الانسان الاكل
ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت اعضاؤه فلا يجيء منه شيء وان
جهد الا النوم كالجيفة الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطينا فعد
نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا عليه السلام ان ابليس عليه اللعنة
بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها
بني آدم قال يحيى هل تجد لي فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة

فتقلنا كثرة الصلوة قال يحيى عليه السلام لا جرم اني لا اشبع بعدها ابدا فقال
ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا فهذا فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة فكيف
لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة وقال سفيان العبادة حرفة
حانوتها الخلوة والاتها المجاعة والخامسة انه في كثرة الاكل فقد
حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما شبعت منذ اسلمت
لاجل حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء
ربي وهذه صفات الكاشفين وكان ابو بكر رضي الله عنه مكاشفا واليه
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة
وانما هو شيء وقر في صدره وقال الداراني احلى ما يكون العبادة اذا التصق
ظهري ببطني والسادسة ان فيه خطر الوقوع في الشبهة والحرام
لان الحلال لا ياتيك الا قوتا ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم
لان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزافا والسابعة ان فيه
شغل القلب والبدن بتحصيله اولا ثم بهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا

ثم بالنا

ثم بالفراغة عنه والتخلص رابعا ثم بالسلامة منه خامسا بان
تبدو امنه آفة في البدن من الآفات وعلل ولقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل
كل دواء الازمة يعني الجوع والحمية وعن مالك بن دينار رحمه الله
انه كان يقول يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت
من ربي ثم ما في الجملة من طلب الدنيا والطمع وتضييع
الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف والثامنة ما يناله
من امور الاخرة وشدة سكرات الموت وروي في الاخبار ان شدة
سكرات الموت على قدر لذات الحياة فمن اكثر من هذه اكثر من تلك
والتاسعة نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا ينقص لك
من لذات الاخرة ولهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقال له ولا ننقصك مما لك شيئا فخصه بذلك ولقد روي ان خالد بن الوليد

فدل على ان لغيره النقصان الا ان يتفضل الله بذلك

اضاف عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهيأ لهم طعاما فقال عمر الناس
فما للفقراء الذين ماتوا اي لم يشبعوا خبز شعير قالوا لهم الجنة يا امير
المؤمنين قال عمر فاذا فازوا بالجنة وكان هذا حظنا من الدنيا فقد بانوا
منا بونا مبينا وروي ان عمر رضي الله عنه عطش يوما فدعا بماء واعطاه 145
رجل اداوة فيها ماء نبذ فيه تمرات فلما ذاقها عمر من فيه وجد
للماء بادرا حلوا فامسك وقال اقه فقال الرجل والله ما القيته
حلاوة يا امير المؤمنين قال عمر رضي الله عنه ذلك يحل لولا الاخرة
لشاركناكم في عيشكم ايها العاشر الجنس والخباث والنوم والتقصير في ترك
في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها
عقاب وشبهتها الى عتاب فهذه جملة العشرة وفي احديها كفاية لمن عقل
لنفسه فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ في القوت كيلا تقع
في حرام وشبهة فيذيقك العذاب ثم بالاقتصار على الحلال على ما يكون
عدة على العبادة التي الله تعالى ليلا تقع في شرك تبقى في الحبس

للحساب

للحساب والله ولي التوفيق فان قلت فبين لنا الحق لا احكم
الحرام والشبهة وحدهما فاقول لك يرحمك الله لقد اشبعنا القول فيه في
اسرار معاملات الدين وذكرنا في كتبنا بامزيد الكتب الاحياء ولكنا نشير
146 الى كلمات مؤدية بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدي اذ المقصود هذا
الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العبادات ويعين الطالب قال بعض العلماء
المحققين ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام
محض واما اذا لم يكن لك تيقنا بذلك ولكن يغلب في ظنك انه كذلك
فهو شبهة وقال الاخر فالحرام المحض ما يكون بعلمه او بغالب الظن
لان غلبة الظن مما يجب به العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوي
الامارات حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشتبه
انه حلال او شبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس حاله ثم الامتناع
عن الذي هو حرام محض حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقوى وورع
وهذا اولى القولين عندنا فان قيل فما تقول في قبول

جوائز السلطان في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه
فقال قوم كل ما لا يستيقن انه حرام فله اخذه وقال الاخرون
لا يحل اخذ ما لا يستيقن انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على السلاطين
الحرام والحلال في ايديهم معدوم وعزيز وقال قوم ان صلات السلاطين
تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطي قالوا
لان النبي قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود
مع قول الله تعالى فيهم اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة
من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم منهم ابو هريرة وابن عباس
وابن عمر وغيرهم وقال اخرون لا يحل من اموالهم شيء لغني ولا فقير
اذ هم موسومون بالظلم والغالب من مالهم السحت والحرام والحكم
للغالب فيلزم الاجتناب وقال الاخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال
للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير انه عين الغصب فليس له ان ياخذه الا ليرده
على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من مال السلطان لانه ان كان من

فاعطى

فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب وان كان من فيء او خراج او عشر فللفقير
فيه حق وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من
دخل الاسلام طائعا وقرا القران ظاهرا فله في بيت مال المسلمين كل سنة
مائتا درهم وروي مائتا دينار ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الاخرة
واذا كان كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقه قالوا واذا كان المال مختلطا بالمال
مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته
فلا مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله يامره بالصدقة
على الفقير وينهى الفقير عن قبوله او ياذن للفقير بالاخذ في القبول وهو عليه
حرام فاذا الفقير اذ ياخذ الا عين الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه
المسائل لا يمكن التنوع فيها الا بالبسط والتشقيق واستيعاب القول
فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب
الحلال والحرام من كتاب احياء علوم الدين تجد شرحها مبينا ان شاء الله تعالى
فان قيل فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها

والبحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة تقللهم في معاملاتهم
وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه ان كان ظاهر الانسان
الصلاح والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك
البحث بان تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم
بل حسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ان ما هو الاصل في هذا الباب 149
وهو ان هاهنا شيئين احدهما حكم الشرع ان تاخذ ما اتاك بمن ظا
هر والثاني حكم الورع وحقه وحكم الشرع ان تاخذ ما اتاك
من ظاهره صلاح ولا تسال الا ان يتيقن انه غصب او حرام بعينه
وحكم الورع ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث
وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فرده
فلقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاما له اتاه بلبن
فشربه فقال الغلام كنت اذا جئتك بشيء سالتني عنه ولم تسالني
عن هذا اللبن فقال وما قصته قال رقيت قوما في الجاهلية

فاعطوني

فاعطوني في هذا فتقيا منه ابو بكر رضي الله عنه وقال اللهم هذا
مقدرتي فما بقي في العروق وانت حسبه فهذا ايدل على وجوب
البحث عما تقدم عليه ان كان في ذلك يقظة الورع وحقه فهذه هذه
150 فان قلت فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع
على اليسر والسماحة ولذلك قال النبي صلعم بعثت بالحنيفية السمحة
فان قلت والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الامر
على المتقي اضيق من عقد التسعين ثم الورع ايضا وكلاهما في الاصل واحد
لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له
حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع فهما مع
تميزهما واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا ان شاء الله فان قلت
اذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شيء فاشتد علينا ما ناخذه
في هذا الزمان وتعذر الامر على صاحب الورع الا لا بد من بلاغ
يبلغه الى القصد فاعلم ان طريق الورع شديد فان من قصد

سلوك يشترط ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا فلا
يتهيأ له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والسابقين ذلك
جبل لبنان وغيره فاقتصروا على اكل الحشيش وثمرة نافعة لا شبهة
فيها بحال فمن سمت همته الى نيل منزل الورع الاعلى فعليه ان يتحمل 151
الشدائد ويصبر عليها ويسلك طريقا وليكن لينال مراتبهم واما
اذا قام بين الناس واكل مما يتداولونه في ايديهم فليكن عنده
بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها
الا بمقدار ما يبلغه الى الطاعة فتكون له عذر في ذلك ولا يفرح
وان كان في امله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن
البصري فسد السوق فعليكم بالقوت ولقد بلغني عن وهب بن
الورد رحمه الله انه كان يجوع نفسه يوما ويومين وثلثة ثم
ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة
واخشى الضعف والالم ان لم آكله اللهم ان كان فيه شيء من خبث

اى فلا تعذبنى بالعقوبة

او حرام فلا تؤاخذني ثم يميل الى غيره فياكله قلت فهذان
الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما من دونهم
فلهم احتياط ونحت على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على
152 مقدار وبعدما تعني تنال ما تتمنى والله تعالى لا يضيع اجر من احسن
عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام فاخبرنا
عن جانب الحلال وما حد الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما
المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا
عليه فيه حبس ولا حساب يقال له فاعلم ان احوال المباح في الجملة
ثلثة اقسام احدها ان ياخذه العبد تفاخرا وتكاثرا ومباهيا ومرائيا
فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحساب
واللوم والتعيير وهو منكر وشر ويستوجب على باطن فعله وهو
التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب
لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد

فقال النبي صلعم من طلب الدنيا حلالا مباهيا متكاثرا مفاخرا مرائيا
لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم
الثاني ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب
عليه الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وقال
صلعم حلالها حساب والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال
العذر قدرا يستعين به على عبادة الله ويقتصر على ذلك فذلك منه خير
وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عتاب بل يستوجب عليه الاجر و
الدرجة لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا وقال صلعم من طلب الدنيا
حلالا استعفافا عن المسألة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيمة
ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد به هذا المقصود المحمود
فاعلم فان قيل فاشرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم
انه يحتاج في كونه خيرا في الاصل الى شرطين احدهما الحال والثاني
القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر من حيث انه لم ياخذه يوقعه

وتفرغ

وتفرغه ان يكون في حالة اذا لم ياخذ ذلك المباح فانه ترك مباح الذي
فضيلة فان الاخذ للحلال كذلك فهو حال العذر واما القصد فهو
ان يقصد به العدة والاستعانة على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر
بقلبه انه لولا ما فيه من التقصير عن عبادة الله سبحانه لما اخذت ذلك
فهذا ذكر الجملة فلما حصل ذكر الجملة في حال العذر صار ذلك
الاخذ من الدنيا الحلال خيرا وحسنة وادبا واما لو كان في حاله
حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا القصد والذكر
ولا يكون له في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم
الاستقامة على حفظ هذا الادب يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل فانه
لا ياخذ الدنيا بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى حتى انه ان سهى
عن ذكر الجملة في حال اجزاه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الجملة
قال شيخنا رحمه الله فصارت الامور الثلثة معتبرة في كل واحد
من وجه بغلبة الذكر ولكن الاعتبار في حصولها كونه خير الاصل

والقصد المجمل المقنع عن بصير منزلة الادب معتبرا في الاستقامة
عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل فان اخذ الدنيا الحلال بشهوة
هل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالقدر
فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة ونسميه خيرا وحسنة والامر
امر تاديب والاخذ بالشهوة شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر
وليس ذلك معصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحبس
والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي
يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان تسأل يوم القيمة عما ذا اكتسبت
وفيما ذا انفقت وما ذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة
الحساب في عرصات القيمة بين اهوالها ومخاوفها عريان وعطشان
وكفى بذلك بلية فان قيل فاذا قد احل الله لنا هذا الحلال فاللوم
فالتعيير في اخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لتركه الادب
اجلس على مائدة الملك فتركه الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام

لمباح

له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق العبد لعبادته
فهو عبد لله تعالى من كل وجه فحق للعبد ان يعبد الله تعالى
من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه
وان لم يفعل ذلك واتبع شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع
تمكنه من ذلك من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم
وشهوة فيستحق اللوم بذلك والتعيير من سيده فتأمل هذا الاصل
راشدا ولا قوة الا بالله فهذه الجملة التي ذكرنا بيانه في اصلاح
النفس والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها جدا تفز
بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله عز وجل والله تعالى ولي العصمة
والتوفيق بفضله

فصل

فعليك ايها الرجل ببذل المجهود
في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها
مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا
عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتابنا

المصنفة من كتاب الاحياء وكتاب الاسرار والقربة مما يبعث
على الاهتمام بحكمه ويتمسك بهذا الكتاب اني سألت الله تعالى
ان يطلعني على سر معالجة النفس فانه يصلحني ويصلح بي فافتتحت
في هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة اللفظ غزيرة المعنى تنفع
من تأملها وتدعه على واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى وهذا
الفصل يختص بنكتة في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس
اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لاني الامر لا يخلو
من ثلثة اما انت من ذوي البصائر والفطن فحسبك ان الدنيا
عداوة الله سبحانه وهو حبيبك ووليك وان الدنيا نقيصة تعقلك
والعقل فيتك واما انت من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى
والاجتهاد فحسبك ان الدنيا يلغ من شهوتها تشغلك ارادتها وتشغلك
الفكرة فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما ان كنت من
اهل الغفلة لا يبصر لك تبصر الحقائق ولا همة تبعث على المكارم

فحسبك

فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقك كما قال الحسن
ان بقيت لك الدنيا لا تبقى لها فاي فائدة اذن في طلبها
وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل حيث قال
هب الدنيا تساق اليك عفوا ... أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل ظل ... اظلك ثم آذن بارتحال
فلا ينبغي للعاقل اذن ان يخدع بها ولقد صدق القائل
اضغاث نوم او كظل زائل ... ان اللبيب بمثلها لا يخدع
واما الشيطان فحسبك فيه ما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذا خير العالمين واعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله تعالى
يحتاج مع ذلك الى ان يستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك
ونقصك وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك لو خالطتهم
ووافقتهم في اهوائهم اثمت وافسدت امر آخرتك وان خالفتهم

تعبت باذيائهم وجفواتهم وكدرت عليك امر دنياك ثم لا تامن
من ان يلجئوك الى معاداتهم ومشاواتهم فتقع في شرهم ولا تامن ان
مدحوك وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك
اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين
آفة مهلكة ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت في القبر ثلاثة ايام كيف
يتركونك فيه ويهجرونك وينسونك فلا يكادون يذكرونك كانهم لم يروك
يوما ولم تَرَهم فلا ينفع هناك الا الله سبحانه وتعالى افلا يكون من
الغبن العظيم اذ تضيع ايامك مع هؤلاء الخلق مع قلة الوفاء
وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذي ترجع اليه آخر الامر
وحده ولا يبقى لك الا هو ابد الآبدين والحاجات كلها اليه والتكلان
كله عليه والاعتصام كله في كل حال وعند كل شدة به
وحده لا شريك له فتامل يا مسكين لعلك ترشد ان شاء الله تعالى
والله ولي التوفيق بفضله واما النفس فحسبك ما تشاهده

من حالاتها ورداءة ارادتها وسوء اختيارها فهي في حال الشهوة
بهيمية وفي حال الغضب سبعية وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة
تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها مختالا
ان اشبعتها بطرت ومرحت وان جوعتها صاحت وجزعت فهي
كما قال القائل كحمار السوء اذا قضم رمح الناس وان جاع نهق ولقد
بعض الصالحين ان من رداءة هذه النفس وجهلها انها اذا همت
بمعصية او انبعثت لشهوة فتشفعت اليها بالله تعالى ثم
برسوله وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع السلف الصالح من عباده وتعرض
عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تترك
الشهوة ثم ان استقبلتها بمنع رغيف فانها تسكن وتترك شهوتها لتعلم
خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال خالقها
العليم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل
لقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن ارقم البلخي رحمه الله انه قال نازعتني

نفسي بالخروج إلى الغزو فقلت سبحان الله إن الله تعالى يقول إن
النفس لأمارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها
استوحشت فتريد لقاء الناس فتروح إليهم ويتسامع الناس بها
فيستقبلونها بالتعظيم والبر والإكرام فقلت لها لا أنزلك العمران ولا أنزل
على معرفة فأجابت فأسأت الظن بها وقلت الله أصدق
فقلت لها إني أقاتل العدو حاسرا فتكونين أول قتيل فأجابت وعد
أشياء مما أرادتها فأجابت إلى الكل ذلك قال فقلت يا رب نبهني لها
فإني متهم لها مصدق لك فكوشفت كأنها تقول يا أحمد أنت تقتلني
كل يوم بمنعك إياي من شهواتي مرات وبمخالفتك ولا يشعر به أحد
فإن قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال
استشهد أحمد ويكون لي شرف وذكر قال فقعدت ولم أخرج إلى الغزو
في ذلك العام فانظر إلى خداع النفس وغرورها تراءي الناس بعد الموت
بعمل لم يكن بعد ولنصدق القائل وأحسن فيما قال توق نفسك لا تأمن

غوائلها

غوائلها فالنفس أخبث من سبعين شيطانا فتنبه رحمك الله لهذه
الخداعة الأمارة بالسوء وقف على غائلتها بكل حال تصب
وتسلم إن شاء الله ثم عليك بإلجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه
واعلم أن ههنا أصلا أصيلا وهو أن العبادة شطران شطر
الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب
الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى وإن شطر الاجتناب
على كل حال أسلم وأصلح وأفضل وأشرف للعبد من شطر الاكتساب
فلذلك يشتغل المبتدؤن من أهل العبادة الذين هم في أول درجة
الاجتهاد بشطر الاكتساب وكل همتهم أن يصوموا نهارهم
ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون أولو البصائر من
أهل العبادة بشطر الاجتناب إنما همتهم أن يحفظوا قلوبهم
عن الميل إلى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول وألسنتهم عن اللغو
وأعينهم عن النظر إلى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى قال العابد الثاني

من العباد ليونس يا يونس اذ مر بالناس من حبب اليهم الصلاة
فلا يؤثرون عليها وهي عمود العبادة باثبات الله والصدق
والتضرع والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يؤثرون
عليه صوم شيا ومنهم من حبب اليهم الصوم الصدقة
فلا يؤثرون عليها يا يونس وانا مفسر لك كف الاذى ما تلك
على الخصال اجمع مومثل الصمت على كل سوء ولاجل
صد منك كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل منه ولا
ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب
اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك الشطران جميعا الا
كتساب والاجتناب فقد استكمل الامر وحصل مرادك لقد سلمت
وغنمت وان لم تبلغ الا الى احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب
فتسلم ان لم تغنم والاخسرت الشطرين جميعا فما ينفعك قيام
ليل وتعبه ثم تحبط بارادة واحدة وما يغنيك صيام نهار طويل

وتسد بكلمة
وتفسد بكلمة

او تفسد بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والاخر قليل الخير
قليل الشر قال ابن عباس لا اعدل بالسلامة شيا ومثال ما قلنا حال
المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الحمية
فان اجتمعا فكانك بالمريض قد برا وصح والا فالاحتما به اولى اذ لا
ينفع دوا مع ترك الاحتماء ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد
قال النبي صلعم اصل كل دواء الحمية والمعني بها والله اعلم انها تغني عن
كل دواء وذلك يقال ان الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض
عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرا ويصح بذلك لا غير
فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وجوهره
فلهذا هم الطبقة العلية العلية من العباد فعليك ببذل المجهود
في ذلك وامر فاجل العناية اليه ان الله تعالى ولي التوفيق
فصل ثم راع هذه الاعضاء الاربعة التي هي الا
موق

او ترك الاكل الطعام

الاول العين وحسبك فيها ان مدار هلاك الدنيا والدين على القلب
وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة والثاني اللسان قال علي نبي الله
وحسبك اني فيه ريعك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله في العبادة و
والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان
بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها فيلزمك عليك بالحفظ واحق ما تتعب
فيه سنة بل احيا وعشرا ولذلك قيل ما شيء احق بطول السجن
من اللسان وفيما روي ان احد العباد والسبعة قال ليونس ان العابد عليه السلام يا يونس
اذا اجتهد واتى عبادة لم يتنفل على عبادته شيئا افضل من الصبر عن ترك
الكلام في فصل طويل ثم عاد الى ذكر فقال ولا يبلغن عندك شيء اثر
من حفظ لسانك ولا تكونن لشيء اغنى به من سلامة صدرك فهذه [illegible]
ثم اذكر الانفس التي تكلمت فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت ان يقول
فيها بوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فترتفع راس مالك هي قلت لا اله الا الله فيكون

لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول اسأل الله العافية فربما
يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك فتنجو من بلية الدنيا والاخرة
ولا يكون من الخسران العظيم والغبن الفظيع ان تفوت عن نفسك كل
هذه الفوائد الكريمة فتجعل نفسك ووقتك في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم
والحساب يوم القيمة ولقد احسن القائل واذا اهممت في النطق في الباطل
فاجعل مكانه تسبيحا والثالث البطن وحسبك ان تعصيك للعبادة
وان الطعام شرب البذر وماؤه منه ينبع وينبت واذا اخبث البذر لا يطيب
الزرع بل فيه خطر ان يفسد عليك ارضك فلا تفلح ابدا ومن ذلك ما بلغنا عن
معروف الكرخي رحمه الله قال اذا صمت فانظر على اي شيء تفطر وعند
من تفطر وطعام من تاكل فكم من يأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود
الى حاله ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة
سورة فان العبد ليأكل الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر
الدقيق والاحتياط البالغ والتدبير الكامل ان كان لك عناية بقلبك وهمت

في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى يكون من جهة ثم عليك بالادب
فيه والا كنت حمالا للطعام متضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل
قد رأيناه عيانا ان العبادة لا يجيء منها شيء اذا امتلأ البطن وان اكرهت
النفس على ذلك وجاهدت بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة
ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة في العبادة مع كثرة واني نور
في بين العبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابرهيم
بن ادهم صحبت اكثر رجال الله تعالى في جبل لبنان فكانوا يوصونني
اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع خصال قل لهم من يكثر الاكل لا
يجد لذة العبادة ومن نام كثيرا لا يجد في عمره بركة ومن طلب رضى
الناس فلا ينتظر رضى الرب ومن يكثر الكلام بفضول وغيبة فلا يخرج
من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله انه قال اجتمع الخير
كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل قال بعض العارفين الجوع

راس مال الناس ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة
وحلاوة وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه واعلم القلب
يحسن انه اصل الكل اذا فسد فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو
الشجرة وسائر الاعضاء اغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان
وتصلح وتفسد وانه الملك وسائر الاعضاء تبع واركان واذا صلح الملك
صلحت الرعية واذا فسد فسدت فاذن صلح العين واللسان والبطن
وغيرها دليل على صلاح القلب وعمارته واذا رأيت فيها خللا وفسادا
فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثم بالنسا فيه
اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل بمرة فترتاح ثم امره
دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والامتناع
من اتباعها مجهود فيتكلف فيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه
اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام بامره اكثر واكبر عند ذوي البصائر وعن
ابي يزيد رحمه الله انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا

فكان قلبي أصعب الثلاثة فهذه مهمة ثم عليك بالاهتمام بالخصال
الأربع التي ذكرناها من الأمل والعجلة في الأمور والحسد والكبر وإنما خصصنا
على الاحتراز منها لأنها علل القراء خصوصا [illegible] إذ هي تعرض لسائر
الناس عموما وللقراء خصوصا فيكون أقبح وأشنع ترى الرجل القارئ
يطول الأمل ويعلله نية خير فيوقعه في الكسل والتواني في العمل و
تراه يستعجل في تحصيل منازل الخير فينقطع عنها أو في إجابة
الدعاء الصالح فيحرم ذلك أو في الدعاء على أحد بسوء فيندم على ذكر
كما ذكرنا عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه
على ما آتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ ذلك منه مبلغا
يحمله على فضائح وقبائح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر
ولهذا المعنى قال سفيان الثوري ما أخاف على أدمتي إلا القراء
والعلماء فاستنكروا منه ذلك فقال ما أنا قلته إنما قاله إبراهيم
النخعي وعن عطاء قال قال لي الثوري احذر القراء واحذرني

وني معهم

[illegible] فلو خالفت أودهم لي في رمانة فأقول إنها
حلوة ويقول إنها حامضة ما أمنته أي يسعى بدمي إلى السلطان نجا
وعن مالك بن دينار إني أقبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا
أقبل شهادة بعضهم على بعض لأني وجدتهم حسادا وعن الفضيل
أنه قال لابنه اشتر لي دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم إن ظهرت
مني زلة هتكوني وإن ظهرت علي نعمة حسدوني وكذلك تراه يتكبر
على الناس ويستخف بهم صعر خده متعبسا وجهه كأنما يمن
على الناس بما يصلي زيادة ركعتين أو كأنما جاءه من الله منشور
بالجنة والبراءة من النار أو كأنما استيقن السعادة لنفسه والشقاوة
لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف
ونحوه ويتماوت وهذا لا يليق بالترفع والتكبر لا يلائمه بل ينافيه
ولكن الأعمى لا يبصر وذكر أن فرقد السبخي دخل على الحسن وعليه كساء
وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن ما لك تنظر إلى ثيابي

اهل الجنة وفينا بكرتيا اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الكبر
ثم قال الحسن جعلوا التهور في ثياب الكبر في صدورهم والذي نحلف به
لاحدكم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا
المعنى يشير ذو النون رحمه الله حيث قال تصوف فازدهى بالصوف 171
جهلا وبعض الناس يلبسه مجانه ليريك مهانة ويريك كبرا
وليس الكبر من شكل المهانة ۞ تصوف كي يقال له امين
وما معنى تصوف في الامانة ۞ ولم يرد الاله به ولكن اراد به
الطريق الى الخيانة فلتحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع
التي ذكرناها لا سيما الكبر فان الثلثة الاولى مداحض لو زللت
فيها الوقعة في العصيان والكبر ملحض فيه لو وقعت في بحار
الكفر والطغيان ولا تنس حديث ابليس وفتنة ابى واستكبر
وكان من الكافرين والرجوع الى الله تعالى ان يعصمنا جميعا
بمنه ونظره انه جواد كريم **فصل** انك اذا نظرت بعقلك
وجملة الامر
ايها

ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضررها
وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاليم
والحساب الطويل في الاخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ منها
الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتركت التنعم والتلذذ الى الجنة
172 دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر الغني الكريم
وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم
فيما يعنيك تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه تنتفع بخيرهم وتجتنب
شرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخزى في صحبته فلا تندم على جدته وانسك
ربك به وتلازم ذكر باريه فيكفيك كل بكل حال وترى منه كل جميل وافضال
وتجده عندك نائبة في الدنيا والاخرة كما قال عيسى صلوات الله عليه عليه السلام
احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت ان الشيطان خبيث
قد تجرد لمعاداتك فاستعذت بربك القادر القاهر من هذا الكلب
اللعين فلا تغفل عن مكايده ومصائده فتطرده بذكر الله تعالى والابعاد

بذلك فانه يسير اذا ظهرت منك عزيمة الرجال وانه كما قال الله تعالى
انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد
صدق ابو حازم فيما قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى
فحلم وما بقي فاني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع
ولقد عصي فما ضر وعلمت جهالة هذه النفس وحاجها الى ما يغر
ويهلكها فنظرت لها نظر العقلاء والعلماء الذين ينظرون
في العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون الى الحال ولا يتفكرون
لغفلة الذي فيه يفرون من مرارة الدواء فالجمتها بلجام التقوى بان
تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول وكلام ونظر وبطش
بخصلة فاسدة من طول امل او عجلة او حسد مسلم او تكبر في غير
موضع او اكل بعض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد
ولا تخاف منه ضررا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله تعالى
الامر على عباده برحمته واغناهم عن جميع ما يغرهم في اديانهم

فان

فان حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى
الهون شيء اذا ارابني شيء تركته فان النفس تسلين وتتعود
كما عودتها والله كما قال القائل فالنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع وقال اخر هي النفس ما حملتها تتحمل
وللدهر ما عودتها تتعود وقال اخر وما النفس الا حيث
يجعلها الفتى فان اطعمت تاقت والا تسلت فاذا علمت الذي
ما وصفناه كنت من الزاهدين الراغبين في الاخرة [illegible]
ان من سمي باسم الزاهد فقد سمي بالف الذين هم اهل الانس وخدم
رب العالمين رب العزة كما قال القائل تشاغل قوم بدنياهم
وقوم تخلوا لمولاهم وكنت من الزاهدين المجاهدين
في الخواص من عباد الله الذين قال فيهم سبحانه
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكنت من المتقين
الذين لهم سعادة الدارين وفزت حينئذ

افضل من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم شهوة تدعوهم الى
قبيح ولا نفس خبيثة وكنت قد خلفتها كلها الى مقصودك ولا
يهولنك فانه مع الاستعانة بالله والاعتصام به لهين نسأل الله
وهو خير مسؤول بمدد كرمه وايانا بحسن توفيقه وعونه وتيسيره فانه
الكافي لكل ضعيف والاستعانة في معضل فيه الخلق والامر
وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ان نذكر في هذا الباب
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الرابع في العقبة

الرابعة وهي عقبة العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك
الله بدفع العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى وسبيلها عنك
لئلا تشغلك عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق
ومطالبة النفس به فانما كفايته بالتوكل فعليك
بالتوكل على الله سبحانه في موضع الرزق
والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما التفرغ

للعبادة وتمشي لك من الخير حقه فان من لا يتوكل على الله
فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله بسبب الحاجة والرزق
والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب بالبدن
كعامة الراغبين واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب
كالمجتهدين المتعلقين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليحصل
حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل اقول كل من
هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم فلا يكاد
يتم له امر خطير من دنيا واخرة وكثيرا ما سمعت من
شيخي ابي محمد رحمه الله يقول انما الامور تمشي في العالم
لرجلين متوكل او متهور **قلت** وانا وهذا الكلام جامع
في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة عادة وجراءة قلب لا يلتفت
الى صارف يصرفه عنه او خاطر يضعفه فتجري له الامور والمتو
كل يقصد الامور على قوة البصيرة وكمال اليقين بوعد الله سبحانه

وتعالى وقيام ثقة بضمانه لا يلتفت الى انسان يخوفه او يثبطه
بوسوسة فيفوته بمقاصده ويظفر بمطالبه واما المتعلق الضعيف
ابدا بين تكول وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج
في قفصه يوما تعقد من صاحبه لا يكاد ينفك عن ذلك تقاعدت
نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا
شريفا وان قصده فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك انما ترى اصحاب
الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا با
نقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهليهم اما الملوك
فيباشرون الحروب ويكافحون الاعداء اما هلكا واما
ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد العلاية وقيل ان
معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه لما نظر الى العسكرين يوم
صفين قال من اراد ان يخطر اخاطر بعظيمته واما التجارة فيركبون
اهوال البر والبحر او يطرحون انفسهم واموالهم في مقاطع

شرقا

غرقا وغنا او يقتلون انفسهم على احد الامرين اما فوت
الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال
جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد
ينقطع القلب عن علاقة من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره
لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجارة المخاطرين
فان نال في سوقه ربحا على بضاعته درهما فذلك له كثير وفذلك
ليعلق قلبه شيء معلوم فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فراس
مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل على الله وقطع القلب عن العلائق
فلما احكموها وحصلوا حقها تفرغوا لعبادة الله تعالى وتمكنوا
من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال
والشعاب فصاروا فرسان العباد والرجال الذين واحرار الناس
وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤون وينزلون حيث يشاؤون
ويقصدون الامور العظام علما وعبادة كما يشاؤون

لا عائق لهم ولا حاجز لهم دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل
الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكون اقوى الناس فليتق الله ومن سره ان يكون اغنى الناس
فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده ٥ عن سليمان الخواص لو ان
رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن
دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص قال
لقيت غلاما في التيه كأنه سبيكة فضة قلت له الى اين
يا غلام قال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف
اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارض يقدر على ان يوصلني الى
مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة فاذا
هو في الطواف يقول يا نفس سيحي ابدا ٥ ولا تحبي احدا ٥ الا الجليل الصمد ٥
يا نفس موتي كمدا ٥ فلما رآني قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف
وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك

تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال حاتم الاصم زادي اربعة اشياء
قال ما هي قال ارى الدنيا والآخرة مملكة الله تعالى وارى الخلق
كلهم عبيد الله تعالى وعياله وارى الارزاق والاسباب كلهم
بيد الله عز وجل وارى قضاء الله عز وجل نافذا في خلقه في جميع
ارض الله تعالى ولقد صدق من قال ارى الزهاد في روح وراحة
قلوبهم عن الدنيا مزاحة اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض شيمتهم
سماحة واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله سبحانه
في هذا الشان في تركه من الخطر العظيم والامر الكريه فلقد
اليسر الله سبحانه قرن الرزق بالخلق فقال تعالى خلقكم ثم رزقكم
فدل على ان الرزق من الله تعالى لا من غيره كالخلق ثم لم يكتف
بالدلالة حتى وعد فقال عز وجل ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف
بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف
بالضمان حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق ثم لم يكتف

بمن كل توكل حتى امر بالتوكل وابلغ وانذر فقال وتوكل
على الحي الذي لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
كلهم من لم يعجز قوله ولم يكن بوعده ولم يطمئن لضمانه
ولم يقنع بقسمه ثم اشتغل بامر رزقه وهمه وعياله بالتفريط ما يكون حاله
وانت ابتليت بمحنة نجني من هذا وصفه والله مصيبة شديدة ونحن
منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم
لابن عمر كيف انت اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف
اليقين وعن الحسن انه قال لعن الله اقواما اقسم لهم
ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة عند نزول هذه الاية
فورب السماء والارض هلكت بنو آدم اغضبوا الرب حتى
اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني انه قال لو عبدت
الله عز وجل عبادة اهل السماء والارض لا يقبل منك حتى تصدقه
قيل وكيف نصدقه قال تكون آمنا بما تكفل الله عز وجل

مقام

من امر رزقك وتركت جسدك فارغا لعبادته ولقد قال هرم بن حيان
لاويس القرني اين تامرني ان اقيم فاومى بيده الى الشام قال كيف المعيشة بها
قال اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وبلغنا ان
شبابا اتاه على باب ابي يزيد البسطامي فسال الجعبري عن حاله فقال
تبت عن الفتوح فلم ارد وجوههم الى القبلة الا الوجلين وقال
ابو يزيد ما ذكرت البلى تهمة حق لست وجوههم عن القبلة
وذكر لي بعض اصحابنا انه رأى رجلا من اهل الصلاح فساله
عن حاله فقال هل سلمت بايمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين
نسال الله تعالى ان يصلحنا بفضله ولا يؤاخذنا بما لحق الجهل انه
ارحم الراحمين فمن فقه فان قلت فاخبرنا ما حقيقة التوكل
وحكمه وما يلزم العبد منه في امر الرزق فاعلم انما يتبين لك
هذا باربعة فصول بيان لفظ التوكل وموضعه وحده وحكمه
فاما اللفظ فانما هي تفعل من الوكالة فالتوكل على احد

ان يتخذه بمنزلة الوكيل القايم بامرهم الضامن لاصلاحه الكافي له

من غير تكلف او اهتمام فهذه جملته واما الموضع واعلم

ان التوكل اسم يطلق في ثلثة مواضع احدها في موضع

القسمة وهو الثقة بالله تعالى فانه لا يتغير ما قسم الله تعالى لك فان

حكمه لا يبدل وهذا واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة

وهو الاعتماد على الوثاقة بنصر الله اذا نصرته وجاهدت قال تعالى

فاذا عزمت فتوكل على الله وقال ان تنصروا الله ينصركم

وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهذا واجب بالقرآن

والثالث في موضع الرزق والحاجة فان الله تعالى متكفل

بما يقيم بنيتك لخدمته وتتمكن به من عبادته قال تعالى ومن يتوكل على الله

فهو حسبه وقال الصادق الامين صلوات الله عليه وسلم لو توكلتم

على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا

وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والسمع جميعا وهذا هو الاشهر

الاغلب

الابلغ منه اعني التوكل في موضع الرزق وهو المقصود

في هذا الفصل فموضع التوكل اذا هو الرزق المضمون فيما

قال العلماء بالله تعالى وانما يتضح لك هذا ببيان اقسام الرزق

فاعلم ان الرزق اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود

فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان

من الله تعالى بهذا النوع والتوكل يجب بازائه بدليل العقل والشرع لان الله تعالى

كلفنا بخدمته وطاعته بابداننا فضمن ما يسد خلل البنية لنقوم بما

كلفنا وقال بعض المشايخ الكرامية كلاما استحسنته على اصله

ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلثة اشياء احدها

انه سيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبد كما ان على العبيد خدمة

السيد والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا

الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم فاين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه

من مكانه وفي وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصله اليهم

به والثالث انه كفهم الخدمة وطلب الرزق شاغلا عنها
فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة وهذا الكلام من لم يحط با
سرار الربوبية والقايل بان الرزق على الله عز وجل عليه واجب بانه
وقد اوضحناه في الكلام فايدة ولنرجع الى المقصود من غرضنا واما
الرزق المقسوم فهو ما قسم الله سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ ما ياكله
ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص
ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتب بعينه قال النبي صلعم الرزق مقسوم
مفروغ ليس تقوى تقي بزايده ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فهو ما
يملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى انفقوا مما رزقناكم اي مما ملكناكم
واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى للمتقين من عباده بشرط التقوى حلالا
من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون منها فلنعلم
ذلك واما حلية التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه اتكال القلب الى الله

بالانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله تعالى
بموضع المصلحة بترك تعلقه على شيء دونه وقال ابو عمر ورحمه الله
التوكل ترك التعلق والتعليق ذكر ان فالتوكل هو ذكر كما قوام بينك
من قبل الله تعالى والآفات بل عندي يرجع الى اصل واحد وهو ان تطمئن
نفسك على ان قيام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما هي من الله
عز وجل لا باحد دون الله ولا بحطام الدنيا ولا بسبب من الاسباب
ثم الله سبحانه ان شاء يسبب لك مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بقدرته
دون الاسباب والوسايط فاذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه
وانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب بمرة الى الله سبحانه وجله
فقد حصل التوكل بحقه فهذا حده واما حصن التوكل الباعث
عليه فهو ذكر ضمان الله وحصن حصنه ذكر جلال الله وكماله
في علمه وقدرته وتنزهه عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا
داوم العبد على هذه الاذكار حمله على التوكل على الله سبحانه في امر

الرزق

في امر الرزق فان قيل هل يلزم العبد طلب الرزق بحال ما فاعلم
ان الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام فلا يمكننا طلبه اذ
هو شيء من فعل الله سبحانه بالعبد كالحياة والموت لا يقوى العبد على
تحصيله ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه
اذ لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو من الله ١٨٧
عز وجل وفي ضمان الله تعالى واما قوله وابتغوا من فضل الله
المراد به العلم والثواب وقيل بل هي رخصة اذ هو امر وارد بعد
الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل
لكن لهذا الرزق المضمون اسباب فهل يلزمنا طلب الاسباب
قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله سبحانه يفعل بسبب
وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله تعالى ضمن لك ضمانا
مطلقا من غير الشرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه

فيطلبه

فيطلبه اذ لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي
يتناوله لا غير والذي يصير سبب غذائه وتربيته لا غير فالواجب ان لا
يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له فلا يصح تكليفه فتامل راشدا
١٨٨ فانه يبين لك ان الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء والمتوكلين
لم يطلبوا رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا
تاركين لامر الله عز وجل ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق
بالطلب واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قلت هل يزيد الرزق
بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ
مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته هذا هو
الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب
حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن الملك
يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة
والقسمة والآية الثانية بقوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

ولو كان بالطلب يزيد وبالترك ينقص لكان للاسى والحزن موضع اذ هو قصر
وتوانى حتى فاته ووجد وتشمر حتى حصله وقال صلعم للسائل هاك لو
لم تأتها لأتتك فان قيل والثواب والعقاب ايضا مكتوب في اللوح
المحفوظ ثم يلزمنا طلب الثواب وترك موجب العقاب فهل يزيد
الطلب او ينقص بالترك فاعلم ان طلب الثواب انما وجب من حيث
ان الله تعالى امر به امرا حتما مطاعا واوعد على تركه وبعض الثواب
على غير فعل منا فزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالفرق بينهما
في نكتة وهي ما قاله بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح قسمان قسم
هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق
والآجال اما ترى كيف ذكرهما الله عز وجل مطلقا غير مشروط
وقال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع
صلى الله عليه وسلم اربعة قد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق والاجل

قسم

190 في كتابه معلقا بفعل العبد قال الله تعالى

وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب
اما ترى كيف ذكرهما الله تعالى ولو انهم آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولادخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلمه فان قيل فنحن
نجد الطالبين يجدون الارزاق والاموال والتاركين يعدمون
ويفتقرون قيل له انك لا تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا او تاركا
غانما رزقا هنيئا بلى اذ هذا من الاكثر لتعلم ان ذلك من تقدير العزيز
العليم وتدبير الملك الحكيم وانشد ابو بكر محمد بن سابق الصقلي الواعظ
بالشام رحمه الله كم من قوي قوي في تقلبه ∘ مهذب الرأي عنه الرزق منحرف
كم من ضعيف ضعيف في تقلبه ∘ كأنه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الاله له ∘ في الخلق سر خفي ليس ينكشف
فان قلت فهل يدخل البادية بلا زاد فاعلم انه اذا كان كل قوة
القلب بالله عز وجل والثقة البالغة بوعده تعالى فادخل والا فكن
كالعوام بعلائقهم ولقد سمعت الامام ابا المعالي رحمه الله يقول
الجويني

يتجرى مع الله عز وجل على عادة الناس جرى الله تعالى معه على ما هو
في عادة الناس في كفاية مؤنته وهذا كلام حسن جدا وفيه فوائد
جمة لمن تأملها فان قلت أليس الله تعالى يقول وتزودوا فان خير الزاد
التقوى فاعلم ان فيه قولان احدهما انه زاد الآخرة ولذلك
قال خير الزاد التقوى ولم يقل طعام الدنيا واسبابها والثاني انه
كان قوم لا ياخذون زادا في طريق الحج اتكالا على الناس ويسألون
ويلحون ويؤذون فامروا بالزاد امر تنبيه على ان اخذ الزاد من مالك
خير من اخذ مال الناس والاتكال عليهم ولذلك تقول فان قلت
فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل
ولا يعلق القلب به بانه لا محالة رزقه وفيه قوامه وانما يعلق القلب
بالله عز وجل ويتوكل عليه ويقول ان الرزق مقسوم مفروغ
منه والله تعالى ان شاء اقام بنيتي بهذا او بغيره وربما يحمل بنية
اخرى بان يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشأن في اخذ الزاد

وتركه

وتركه انما الشأن في القلب ان لا تعلق قلبك الا بوعد الله عز وجل
وحسن كفايته وضمانه فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله تعالى
دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشأن
اذا في القلب فافهم هذه الاصول تكفي المؤنة ان شاء الله تعالى
فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة
والسلف الصالح رحمهم الله تعالى فلا جرم ان ذلك مباح غير حرام وانما الحرام
تعلق بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه فافهم ذلك ثم ما ظنك
برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي
اعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام او شراب او درهم او دينار كلا
وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع الله عز وجل وتوكله عليه
كما امره فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح
خزائن الارض كلها وانما كان اخذ الزاد منه ومن السلف الصالح
لنيات الخير لا لميل قلوبهم عن الله تعالى الى الزاد والمعتبر القصد على ما

أعلمناك فانتبه من رقدتك فإن قلت أيهما أفضل أخذ الزاد

أم تركه فاعلم أن هذا يختلف باختلاف الحال إن كان مقتدياً به

يريد أن يبين أن أخذ الزاد مباح أو ينوي به عون مسلم أو إغاثة

ملهوف ونحو ذلك فالأخذ أفضل وإن كان منفرداً قوي القلب

بالله عز وجل فيشغله الزاد عن عبادة الله تعالى فالترك أفضل

فتفهم هذه الجملة واحتفظ بها راشداً وبالله التوفيق

العارض الثاني الأخطار والمخافات وإراداتها وارتكابها

وقصدها وإنما كفايتها بالتفويض فعليك بتفويض الأمر كله

إلى الله سبحانه وذلك لأمرين أحدهما لطمأنينة القلب في

الحال فإن الأمور إذا كانت خطرة مبهمة لا تدري صلاحها

من فسادها فتكون مضطرب القلب حائر النفس لا تدري أتقع

في صلاح أو فساد فإذا فوضت الأمر إلى الله سبحانه علمت أنك

لا تقع إلا في صلاح وخير فتكون آمناً من الخطر والآفة والمخافة

مطمئن القلب في الحال وهذه الطمأنينة والأمن والراحة في الوقت

غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالسه كثيراً دع

التدبير إلى من خلقك تسترح وقد أنشد في ذلك أيا من كان ليس

يدري أفي المحبوب صنع له أو المكروه والحري بأن يفوض ما يعجز عنه

إلى الذي يكفيه الإله البر الذي هو بالذات أحفى من أمه وأبيه

والثاني من الأمرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال

وذلك لأن الأمور في العواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير

وكم من ضر في حلية نفع وكم من سم في هيئة شهد وأنت الجاهل

بالعواقب والأسرار فإذا أردت الأمور قطعاً وأخذ فيها باختيارك

متحكماً فما أسرع فيما تقع هلكاً ولا تشعر ولقد حكي أن بعض العباد

كان يسأل الله تعالى أن يريه إبليس فقيل سل الله تعالى العافية فأبى

إلا ذلك فأظهره الله تعالى له فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له

إبليس لولا أنك تعيش مائة سنة لأهلكتك وعاقبتك فاغتر بقوله

وقال في نفسه ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فوقع

في الفسق وترك العبادة فهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك الحكم في امر

ذلك والاحتجاج في مطلق بالك وحدك وكذلك طول الامل ايضا فانه آفة

العظيمة ولقد صدق القائل وإياك والمطامع والاماني فكم امنية جلبت منية ١٩٥

واما اذا فوضت الامر الى الله سبحانه وسألته ان يختار لك ما

هو صلاحك لم تلق الا الخير والسداد ولا تقع الا على الصلاح قال الله تعالى

حكاية عن العبد الصالح وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد

فوقيه الله سيئات ما مكروا اما ترى كيف اعقب تفويضه

الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد فاقبل موفقا

فان قلت بين لنا هذا التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا

فصلين بهما يتضح الكلام احدهما موضع التفويض والثاني

معناه وحده اما موضعه فاعلم ان المرادات ثلثة

مراد يعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب

وفي الافعال

٨ وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادته وذلك

والثاني يعلم قطعا انه صلاح كالجنة والايمان والسنة وتحقق لك

فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا اختلاط فيه ولا اشتباه

١٩٦ انه خير وصلاح والثالث مراد لا يعلم يقينا ان لك فيه صلاحا

ام فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض

فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان

قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء

فهو طمع مذموم نهيت عنه فموضع التفويض اذن ما تخاف فيه الخطر

وهو انه لا يستيقن صلاحك فيه واما معنى التفويض فقال

بعض شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار

العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد السجزي رحمه الله

هو ترك اختيارك المخاطر على المختار ليختار لك ما هو خير لك

وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله هو ترك الطمع والطمع ارادة الشيء

للمخاطرة بالحكم فهذه عبارة المشايخ والذي نقوله ان التفويض
ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر وضد
التفويض الطمع والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما بمعنى
الرجاء يريد شيئا لا خطر فيه او يخاطر بالاستثناء وذلك ممدوح
غير مذموم كما قال الله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل
هاهنا والثاني طمع مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع
فانه فقر حاضر وقيل هلاك الدين وفساده الطمع وملاكه الورع
قال شيخنا رحمه الله الطمع المذموم شيئان سكون القلب الى منفعة
مشكوكة والثاني ارادة الشيء المخاطرة بالحكم وهذه الارادة تنافي
بل التفويض لا غير ذلك واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور
وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام
عن ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك

فالمو

فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على التفويض الامور كلها الى الله تعالى
والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح
فهذه هذه وبالله التوفيق فان قيل ما هذه الخطر الذي توجب
التفويض لاجلها في الامور فاعلم ان الخطر في الجملة خطران خطر
الشك بانه يكون او لا يكون وانك تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثناء
ويقع في باب النية والامل والثاني خطر الفساد بانه لا يستيقن
فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت عبارات
الائمة في الخطر فقال بعضهم ان الخطر في الفعل هو ان يكون دونه
نجاة ويمكن ان يجانبه ذنب فاذا لا تصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم
وقال الاستاذ رحمه الله الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الا
شتغال بالعارض اولى من الاقبال على ذلك الفعل وذلك يقع
في المباحات والسنن والزوائد الا ترى ان من يضيق عليه وقت الصلاة
وقصد اداءها فعرض له حريق او غريق يمكنه انقاذه فالاشتغال

١٩٩

بانقياده اولى من الاقبال على صلوته فلا تصح اذا ارادة المباحات
والنوافل والكثير من الزائض بالحكمة فان قيل كيف يصح ان
يفترض الله عز وجل على عبده شيئا ويوعده على تركه ثم لا يكون له صلاح
في فعله فاعلم ان شيخنا رحمه الله قال ان الله عز وجل لا يأمر
العبد بشيء الا وفيه صلاحه اذا اخبره عن العوارض ولا يصيب
عليه فعلا فرضا بحيث لا معدل له عن ذلك الا وله فيه صلاح وانه
مما يسبب الله عز وجل لعذر الا لاجله يكون العبد عن احد الامرين
اولى من الاشتغال بالآخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا
بل ماجورا لانه يترك هذا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو اولى ولقد
سمعت الامام في هذه المسئلة يقول ان الذي افترض الله تعالى
على عبده من الصلوة والحج والصوم ونحوه ففيها صلاح للعبد
لا محالة وصحت ارادتها بالحكمة قال فاتفق رأينا على ذلك فبقي
المباحات والنوافل في هذا الحكم فاعلم ذلك فانه في غموض الباب

وبالله التوفيق

٢٠٠

وبالله التوفيق فان قيل هل يأمن المفوض من الهلاك و
الفساد والذارد رحمه فاعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض
الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولذلك ربما يخذله فيقع
عن منزلة التفويض لا اصلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة
التفويض فيه قال الشيخ ابو عمرو رحمه الله وقيل لا يفعل بالمفوض
الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه والخذلان والقصور
عن منزلة التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد
ذلك والتفويض انما يقع فيما يشك في فساده وصلاحه وهذا
اولى القولين عند شيخنا رحمه الله اذ لولا ذلك لما بقيت الثقة
على التفويض فان قيل فهل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو
الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى سبحانه
ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل
حكمة من فعله الا ترى انه قد يأتي النبي صلى الله عليه ولا اصحابه

إن ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار
حتى فاتهم صلاة الليل وصلاة النبي والصلاة أفضل من النوم
وربما يقدر للعبيد الغنى والنعمة في الدنيا وإن كان الفقر أفضل
ويقدر له الاشتغال بالأزواج والأولاد وإن كان التجرد لعبادة
الله عز وجل فإنه بعباده خبير بصير وهذا كما أن الطبيب
الحاذق الناصح يختار للمريض ماء الشعير والمقصود
للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد
والهلاك فإن قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم
أن الصحيح عند علمائنا أنه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه
وذلك لأن المعنى فيه إذا كان له صلاح في المفضول والأفضل
فهو يريد من الله تعالى أن يسبب له الأفضل كما أن المريض
يقول للطبيب اجعل دوائي ماء السكر دون ماء الشعير
إذا كان لي صلاح في كليهما ليحصل لي الفضل والصلاح

وإن كان ماء السكر أفضل وأنفع لكونه ... اعلم أن الصلاح علته في قضاء الشعير

جميعا

يحصل له

جميعا فكذلك دواء العبد إذا سأل الله تعالى أن يجعل صلاحه
فيما هو الأفضل ويسبب له ذلك ليحصل له الفضل والصلاح
جميعا ولكن بشرط أنه إن اختار الله تعالى له خلاف ذلك أو كان
الصلاح في غير الأفضل أن يكون راضيا بذلك فإن قيل فلما
ذا كان للعبد أن يختار الأفضل وليس له أن يختار الأصلح فاعلم
أن الفرق بينهما أن العبد يعرف الأفضل من المفضول ولا يعرف
الصلاح من الفساد لبريته بالحكم فهو معنى اختياره الأفضل أنه
يريد من الله تعالى أن يجعل صلاحه فيما هو الأفضل ويختار له
ذلك ويقدره لا أن للعبد حكما في شيء من ذلك فاعلم فهذه جملة
من دقيق هذا العلم وأسراره ولولا أن الحاجة ماسة اليه لما تعرضنا
لإيراده لأنه لا يظهر لها علوم المكاشفة مع أني اقتصرت على نكتة
المقنعة في هذا الكتاب وقصدت الإيجاز لينتفع به فحول العلماء
والمبتدئ إن شاء الله عز وجل العارض الثالث القضاء

وزوره وانواعه وانما كفايته في الرضاء فعليك ان ترضى بقضاء الله
عز وجل وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة لانك اذا لم ترض
بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا انه لم اذا كان ٢٠٣
كذا ولم لا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم
كيف يتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب واحد وقد ملاته من
الهموم وما كان من امر الدنيا وما يكون منها فاي موضع يبقى فيه
لذكر العبادة وفكر الآخرة ولقد صدق شقيق رحمه الله ان حزن
الامور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعاتك هذه فهذه
والثاني من الامرين خطر ان في السخط من غضب الله سبحانه
ولقد روينا في الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى بعض ما ناله من المكروه
الى الله عز وجل فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى
هكذا بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان
اغير الدنيا لاجلك وابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد

دون ما اريد

٢٠٤

دون ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت لئن
تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك
النار ولا ابالي قلت فليسمع العاقل هذه السياسة العظيمة والتهديد
البالغ مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع قوله عز وجل
لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى فهذا في حديث النفس وتردد
القلب فكيف بمن يصرخ ويستغيث ويشكو وينادي بالويل و
الصراخ من ربه الكريم المحسن على بؤس البلاء ويتخذه عدوا نا
صبا وهذا في سخط مرة فكيف بمن هو في التسخط على الله جميع
عمره وهذا في من شكا اليه فكيف بمن شكا الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا
وسيئات اعمالنا ونساله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوء ادبنا ويصلحنا
بحسن نظره انه ارحم الراحمين فان قيل فما معنى الرضاء بالقضاء
وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم ان علمائنا قالوا الرضاء ترك التسخط والتسخط
ذكر غير الذي قضى الله سبحانه بانه اولى به واصلح له فيما لا يتيقن

صلاحه وفساده فهذا شرط فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور
والمعاصي بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يرضى العبد بالشر ويلزمه ذلك
فاعلم ان الرضاء انما يلزم بالقضاء واقتضاء الشر ليس بشر فاما الشر
هو المقضي فلا يكون رضاء بالشر وقد قال شيخنا رحمه الله القضايا
اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضاء فيها بالقاضي
والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انها نعمة
واظهار المنة عليه بابتداء تلك النعمة والشدة يجب ايضا الرضاء فيها
بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انه شدة و
الخير يجب فيه الرضاء بالقضاء والمقضي ويجب عليه ذكر المنة
من حيث انه خير وفقه له والشر يجب عليه فيه الرضاء بالقاضي والقضاء والمقضي
من حيث انه مقضي له لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى
القضاء والقاضي بالحقيقة وهكذا كما انك ترضى مذهب المخالف
ان يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما

الى العلم فالرضا والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب
المخالف لا للمذهب فكذلك المقضي بالشر فان قيل فالرضى هل يكون
مستزيدا ما قيل نعم بشرط الخير والصلاح دون مطلقه فلا يخرجه
ذلك عن الرضى بل ان ذلك يدل على الرضى فهو اولى لان من اعجب بشيء
والرضى به ان يدل على الرضى فهو بذلك استزاد منه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اصاب اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه
وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين لم يدل على
انه غير راض بما قدر الله تعالى له من ذلك فان قلت فلم يذكر
عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء وشرط الخير والصلاح فاعلم
ان هذه الامور انما يكون بالقلب وانما اللسان عبارة عن ذلك
فلا يعتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب فافهم ذلك العارض
الرابع الشدائد والمصائب وانما كفايتها بالصبر فعليك بالصبر
في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها

منها فاتت بتّة امر العبادة كلّه على الصبر واحتمال المشقات فمن
لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة .. ومن ذلك ان من قصد
عبادة الله تعالى وجرّد لها همته استقبلته شدائد ومحن والمصائب
من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي نفسها مشقة ولذلك كانت هذا
الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يتأتى فعل العبادة الا
بقمع الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثانيها
ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لا
يفسد عليه والابقاء على العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار
دار محنة .. فمن كان فيها فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها
وذلك عدة اقسام المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان
والاصحاب بالموت والفقد وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع
وفي العرض بتسلط الناس اياه والطعن فيه والازدراء به والغيبة
والكذب عليه وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحد من

(اذ هي زاجرة عن الخير والرشد ومخالفة الهوى وقهر النفس صح)

هذه

هذه المصائب لدغة وحرقة من نوع غير نوع الآخر فيحتاج الى
الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من النزوع للعبادة
ورابعها ان طالب الآخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان
اقرب الى الله فان المصائب له في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد
اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء
ثم الامثل فالامثل فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق الآخرة
استقبلته هذه المحن فان من لم يصبر عليها ولا يكون بحيث
لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل
الى شيء من ذلك ولقد علمنا الله سبحانه بالتقاء المحن والمصائب
وابتلائنا بها حتى حين ذكره واكده فقال تعالى لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا ثم قال جل من قائل وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور فكانه يقول وطنوا انفسكم على ان لا بد لكم

من انواع البلاء فان تصبروا فاشد الرجال وعزايمكم عزايم الرجال
فاذا من عزم على عبادة الله تعالى يجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل
ويوطن نفسه على احتمال المشقات العظيمة المتوالية الى المعة
والا فقد قصد الامر بغير الته واتاه من غير وجهه ولقد ذكر عن
الفضيل رحمه الله انه قال من عزم على طريق الاخرة فليجعل نفسه
اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت
الابيض الجوع والاسود احتمال الناس والاحمر مخالفة الشيطان والاخضر
الرقاع بعضها على بعض والثاني من الامرين بيان الصبر من خير
في الدنيا والاخرة ومن ذلك النجاح ومن النجاة قوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا من شدايد ومنها الظفر بالاعداء قال فاصبر ان العاقبة
للمتقين ومنها الظفر بالمراد قال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرائيل بما صبروا وقيل كتب يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام
ان اباي صبروا وظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى

قيل

قيل لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى
فرجا اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا
ومنها التقدم على الناس والامامة قال تعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون
بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله تعالى قال سبحانه انا وجدناه صابـ
را نعم العبد ومنها البشارة بالصلوة والرحمة قال تعالى وبشر الصابرين الى قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ومنها المحبة
من الله عز وجل قال تعالى ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات
العلى في الجنة قال تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة
قال تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا
عن اوهام الخلق وعقولهم وتحصيلهم قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ماجد ما اكرمه كل هذه الكرامات
في الدنيا والاخرة نعطيها على صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة
كله في الصبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء

خيرا واوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه جميع خير الدنيا في صبر
ساعة واحدة ولقد احسن القائل حيث يقول الصبر مفتاح ما يرجى
وكل خير به يكون اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الحرون وربما نيل
باصطبار ما قيل هيهات لا يكون ولبعضهم يقول صبرت وكان
الصبر مني سجية ثم حسبك ان الله اثنى على الصبر فعليك باغتنام هذه
الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها تكن من الفائزين والله ولي التوفيق
فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظ الصبر في
طريق اللغة معناه الحبس قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم الآية اي احبس نفسك معهم وانما يوصف الله عز وجل بالصبر
على معنى حبس العذاب عن المجرمين فلا يعجلهم به ثم المعنى الذي
هو من مساعي القلب يسمى صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع
فيما قاله العلماء ذكر اضطرابه في الشدة وقيل بل ارادة الخروج عن الشدة
بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر ذكره مقدار الشدة ووقتها وانها

لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر ولا فائدة في الجزع بل فيه الضرر
والخطر وحصن هذا الحصن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وكريم في
ذلك فهذه هذه وبالله التوفيق فصل فعليك بقطع هذه العقبة
الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربع وازاحة علتها والا فلانك
تتذكر مقصودك من العبادة وتتفكر فيها فضلا عن ان تدركها وتحصلها
وان لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا وآجلا ثم ان اعظمها و
اعضلها امر هذا الرزق وتدبيره وانه البلية الكبرى لعامة الخلق
اتعبت نفوسهم واشتغلت قلوبهم واكثرت همومهم وغمومهم وضيعت
اعمارهم واعظمت تبعتهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله
عز وجل وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعا
شوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا
الآخرة مفالسين بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله عز وجل
بفضله فانظر كم آية انزل الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه

وقعهم في ذلك ولم تزل الانبياء والعلماء يعظون الناس ويشوقونهم
الى الطريق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال
ويخوفونهم بالله عز وجل وهم مع ذلك لا يعقلون ولا يتفقهون
ولا يطيقون بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون تخافون اوينفونهم
وعناء واصل ذلك كله قلة التدبر في ايات الله تعالى وقلة التفكر في صنع
الله عز وجل وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك
التامل لاقوال الصالحين مع الاشتغال بوساوس الشياطين
والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادة الغافلين حتى تمكن
الشيطان منهم ورسخت العادة في قلوبهم فيقودهم ذلك الى ضعف
القلب ورقة اليقين واما الاخيار الذين هم اولوا الابصار وارباب
الجد والاجتهاد ابصروا طريق السماء ولم يعبأوا باسباب الارض
واعتصموا بحبل الله فلم يتوكلوا على الخلق ووثقوا بايات الله
عز وجل وابصروا طريقه فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان
يلتفتوا

والخلق والنفس فاذا وسوس لهم شيطان او نفس او انسان بشيء
قاموا معه بالمناقشة والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانقطع
عنهم الشيطان ويئس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما ذكر عن
ابراهيم بن ادهم رحمه الله لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان
فخوفه بان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه
رحمه الله ان يقطع البادية على تجرده ذلك وانه لا يقطعها حتى يصلي تحت
كل ميل من اميالها الف ركعة وقام بما عزم وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة
حتى ان الرشيد حج في بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلي فقيل له هذا
ابراهيم بن ادهم يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحاق فانشا ابراهيم
يقول نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع
ومن بعض الصالحين رحمه الله انه كان في بعض البوادي فوسوس
له الشيطان بانك متجرد وهذه بادية مهلكة لا ماء فيها ولا انيس فعزم

على نفسه بأن يمضي على تجرده ذلك وأن يترك الطريق حتى لا يقع بأحد من الناس
ولا يأكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع
ومر على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله فإذا أنا بقافلة قد ضلت
الطريق وهم يسيرون فلما أبصرتهم رميت نفسي إلى الأرض لعلهم لا
يبصروني فسترني الله تعالى حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني
وقالوا هذا منقطع وقلبه غشي عليه من الجوع والعطش فهاتوا سمنا و
عسلا فمددوه واسقاني فأبيت فأتوا بسكين فعالجوا فمي حتى يفتحوه ففتحت
قال فلما رأوا ذلك قال لي مجنون أنت قلت لا والحمد لله ربي وأخبرتهم
ببعض ما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشايخنا رحمه الله قال نزلت
في بعض أسفاري مسجدا أيام الثلج وكنت مجردا على عادة أوليائنا
فوسوس إلي الشيطان بأن هذا مسجد بعيد عن الناس لو صرت إلى المسجد بين
الناس لرآك أهله وقاموا بكفايتك فقلت لا أبيت إلا هاهنا وعلي
عهد الله أن لا آكل شيئا إلا الحلواء ولا آكله حتى يضع في فمي لقمة لقمة وصليت

يجعلونه في فيه لعله يفيق فأتوا بعسل ... صح

العتمة

العتمة وأغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل وإذا أنا بإنسان
يدق الباب ومعه سراج فلما أكثر الدق فتحت الباب فإذا
بعجوز معها شاب ولدي صنعت له هذا الخبيص وجئ
ما كلا ثم حلف أن لا يأكل حتى يأكل معه رجل غريب أو قالت
هذا الغريب الذي في المسجد فكل رحمك الله واحتثت تضع
في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة فهذا وأمثالها من مجاهدات
الصالحين ومناقضاتهم للشيطان فإن كان في ذلك فوائد ثلاثة
أحدها أن تعلم أن الرزق لا يفوت ممن قدر له بحال والثانية
أن تعلم أن أمر الرزق والتوكل لهم جدا وأن الشيطان فيه
غوائل ووساوس عظيمة حتى أن مثل أولئك الأئمة النقاد لم يتخلصوا
من ذلك ولم ييأس منهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة
المجاهدات التي سبقت لهم حتى احتاجوا إلى دفعه بهذه المناقضات
ولعل أن من جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا يأمن أن يولوا

وقد دخلت فوضعت بين يدي طبقا من الخبيص فقالت كل هذا الشاب صح

لا قعد الإمام غزالي

كما يوسوس للمبتدي في العبادة بل الغافل لم يجتهد ساعة لا يأمن
في الرياضة ولو صبر ابدا لنقضها واهلكه هلاك الغافلين المغرورين
ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والثالثة ان تعلم ان هذا الامر
لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحما و
ودما ورجالا مثلك بل كانوا انحف ابدانا واضعف اركانا وارق
عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم ونور اليقين وهمة
امر الدين حتى قدروا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحقوق
تلك المقامات فانظر لنفسك رحمك الله ايا ما تكن هذا الداء المعضل
لعلك تبلغ ان شاء الله فصل فاعلم بعد هذه الجملة نجد ذكر
نكتة وجدتها حيث تنكت في القلب اذا انتذكر تكفيك فهما في هذا الباب
وتدعك على واضح من الحق ان تاملتها وعملت بها والله سبحانه هو
الموفق الاولى ان تعلم ان الله عز وجل ضمن الرزق لعباده في كتابه
فقد ضمن رزقك وتكفلك به فما تقول لو في عدة ملك من ملوك

الدنيا اذ يضيفك الليلة ويحك الاتهم وانت حسن الظن به انه صادق
ولا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي او يهودي او نصراني
او مجوسي عندك مستور بظاهره عفيف في معاملته الست تثق بوعده و
تطمئن لقوله ولا تهتم لعشائك تلك الليلة اتكالا عليه فما لك وقد وعدك
الله سبحانه وضمن لك رزقك وتكفل به بل اقسم عليه في غير موضع وانت لا
تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل تضطرب فيالك
وتهتم فيالها من فضيحة لو رايت ويالها من مصيبة لو علمت وعن علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه انه قال ءاتطلب رزق الله من عند غيره
وترضى بعراف وان كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا سبحانه
كانك لم تقرا ما في كتابه فاصبحت مخذول اليقين مباينه
ولهذا المعنى يخرج هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه
والعياذ بالله تعالى سلب المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وتعالى وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون

الحكمة لا مرد بينه هذه النكتة الواحدة لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم الثانية ان تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك في كتاب الله تعالى
واخبار رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا تتغير
ولا تتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها فذلك باب الكفر بعينه
نعوذ بالله وان علمت انه حق لا يتغير فاي فائدة في الاهتمام والطلب
الا الذل والهوان في الدنيا والشدة والحزن والحبس في الاخرة ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم مكتوب على ظهر الحوت والثور شقي فلان بن فلان
فلا يزداد الحريص الا جهدا وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله ان ما قدر لما
ضغيك ان يضغاه فلا يمضغه غيرك فكل رزقك ويحك بالعز ولا تاكله
بالذل وهذه نكتة نافعة **الثالثة** ما سمعت من شيخي الامام رحمه الله
يحكى عن الاستاذ رحمه الله انه كان يقول ان مما شغفني في امر الرزق
اني تذكرت وقلت لنفسي اليس هذا الرزق للحيوة والعيش والبنية لا يمنع
بالرزق فانما كان حيوة العبد في خزائن الله تعالى وبيده فكذلك الرزق فان شاء الله

يعطيني

يعطيني وان شاء يمنعني وهو غيب عني موكول الى الله تدبيره كيف شاء
وان تسكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة متبعة لاهل التحقيق الحكمة
ما ذكرنا من هذه الفصل ان الله ضمن رزق العبد ولم يضمن الا الرزق
المضمون الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة **واما**
الاسباب من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله عز وجل
وتوكل على الله فربما يحبس عنه الاسباب فلا يبالي بذلك ولا ينبغي له ان يعلم
من حقيقة الامر ان الضمان لقوام البنية والتوكل على الله تعالى انما هو
في هذا المعنى وان الله تعالى لا محالة يبلغه بالقوة والمعونة ليقوم بحق العبادة
والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله سبحانه
قادر على ما يشاء ان شاء يقيم بنية عبده بطعام والشراب او بطين
وتراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بغير هذا كله فليس مطلوب
العبد الا القوام والقوة للعبادة وليس الاكل والشرب والشهوة
ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب اذن ولهذا المعنى رغبت الزهاد والعباد

النكتة الرابعة

والمنتظر من الله عز وجل هذا

على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لا يأكل عشرة ايام ومنهم من لا
يأكل شهرا او شهرين وهو على قوة ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله
عز وجل له غذاء نحو ما ذكرنا عن الثوري رحمه الله انه تقذفت نفقته
بمكة فمكث خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو معاوية
الاسود رايت ابرهيم بن ادهم يأكل طين عشرين يوما وعن التيمي
قال ابراهيم التيمي رحمه الله ما اكلت منذ شهر قال ولا شهرين الا اني انا
شدني على عنقود من عنب فاكلته فانا اشتكي بطني حصول مرض
البطن قلت انا وهو تعجبني من ذلك فان لله القدرة على من يشاء
ومثل هذا المريض تراه لا يأكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال
اضعف نفسا وارق طبعا من الصحيح القوي وانما الذي يموت جوعا
فذلك اجل حضر كما الذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن ابي سعيد
الخراز رحمه الله قال كان حالي مع الله ان يطعمني في كل ثلثة ايام فدخلت
البادية فمضت على ثلثة ايام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع

وجدت

وجدت ضعفا فجلست مكاني فاذا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايهما احب
اليك سبب ام قوة قلت لا الا القوة فقمت من وقتي وقد استقللت فاقمت
اثني عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما لذلك فاما اذا رام العبد احتباس
الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله تعالى فليس يتيقن ان الله يمده
بالقوة فلا يعجزن لذلك بل حقه ان يشكر الله تعالى على ذلك شكرا كثيرا فان له المنة
والصنع واللطف اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود
ودفع عنه الشغل والوسط وخرق له علائق العادة واراه طريق القدرة واو
شبه حاله بحال الملائكة ورفعه عن حالة البهائم والعامة في تلك الكرامة
فتامل هذا الاصل الكبير تغنم الربح العظيم انشاء الله عز وجل قلت ايضا
فلعلك ان تقول لي انك اطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول
نعم لعمر الله والله انه لقليل في جنب ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شان
في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية فمن له همة في هذا
الشان فاليستكل بذلك وليراع حقه ولا هو المقصود بمعزل والذي بيده

على بصيرة

علماء الآخرة العارفين بالله انهم بنوا امرهم على التوكل على الله تعالى والتفرغ
لعبادته وقطع العلائق كلها فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية و
قيض الله تعالى لهم اعوانا من السادة واصحابا يتنشئ الهمم من الخير المحض ما
لم يتبع لطائفة من طوائف الائمة الا الزهاد الكرامية على اصول غير سخيفة
وما زلنا اعزة ما دمنا على منهاج ائمتنا نخرج من معابدنا ومدارسنا كل
حبر اماما في العلم كالاستاذ ابي اسحاق وابي حامد وابي الطيب
وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السادة واما صوفيتنا في العبادة
كابي اسحاق الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم
ممن فاق الامة علما وزهدا حتى ضعفت الفلوس بعضنا وتلطخنا بشيء
من العلائق التي ضرها اكثر من نفعها فترى جفت الامور وتقاعدت الهمم
وطارت البركة وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة
او يحصل له علم وحقيقة واما نظرنا الان ليست الهمم ممن بقي على منهاج
اسلافنا ومشيختنا المتقدمين كالحارث المحاسبي ومحمد بن ادريس

الشافعي والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين
كما قيل فما صحب الايام الا تعنتا وما وجدهم من حب سيدهم بلاقا
لما صدقني اهل ولا بيت الى ببعد السادات قد جعلوا القصد الخلل عقد
الصبر من كل صابر وما حلت الايام من عقلهم عقدا وكنا في الصدر الاول
ملوكا فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا رجالة وليتنا لا ننقطع
عن الطريق بمرة والله المستعان على المصائب والمسؤل ان لا يسلبنا اي لا يقطعنا
هذا الى تفق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
واما التفويض ففيه قل فيه اصلين احدهما انك تعلم ان الاختيار
لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها حالها
وعاقبتها والا فلا يامن ان يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح
الاترى انك لو قلت لبدوي او قروي او اعمى عنهم انتقد لي هذه الدراهم
وميز بين جيدها او رديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي غير صيرفي
فربما يعسر ايضا فلا نامن اذا الا بان تعرضها على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة

وما فيها من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه
لا يصلح الا لله رب العالمين فلا يستحق اذا احد ان يكون له ولاية
الاختيار والتدبير الا الله وحده لا شريك له ولذلك يقول عز من قائل وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال عز وجل وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وحكي انه بعض الصالحين قيل له من
قبل الله تعالى سل تعط وكان موفقا فقال ان عالما بجميع الوجوه يقول
لجاهل من جميع الوجوه سل تعط اي شيء اعلمه ماذا يصلح لي فاساله
ولكن اختر انت لي فهذه هذه والاصل الثاني ما تقول لو ان
رجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبر ما تحتاج اليه من مصالحك
ففوض الامر كله الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك وهو عندك
اعلم اهل زمانك واحكمهم واقواهم وارحمهم واتقاهم واصدقهم
واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمة وتمنن منه اكبر منة
وتقدم له اوفر شكر واجمل ثناء ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف

وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تسكن وتطمئن الى تدبيره علما بانه لا يختار لك
الا ما هو الخير وما ينطبق ذلك الا بالصلاح كيف ما كان الامر بعدما وكلت
الامر اليه وصح ذلك فما لك اذا لا تفوض الامور الى الله رب العالمين الذي
سبحانه وهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض فهو اعلم كل عالم واقدر كل
قادر وارحم كل راحم واغنى كل غني يختار ذلك بلطف علمه وحسن تدبيره ما لا
يبلغه علمك ولا يدركه فهمك واشتغل انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك
واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه سره رضيت بذلك واطمأننت اليه فكيف
ما كان هو الصلاح والخير فتامل راشدا ان شاء الله تعالى وبالله التو
فيق **واما** الرضاء بالقضاء فتامل فيه اصلين متينين
لا مزيد عليهما احدهما ما في الرضاء من الفائدة في الحال والمآل اما الفائدة
الحالية ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ولذلك قال بعض الزهاد
رحمه الله اذا كان القدر حقا فالهم فضل واصله الخبر الماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ليقل همك ما قدر يكون وما ترزق

لم يأتك وهذا هو الكلام الجامع النبوي النافع في قلة لفظه وكثرة
فائدة معناه واما الفائدة في المآل فثواب الله تعالى ورضوانه لقوله
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وما في التسخط من الهم والحزن والقبح
في الحال من الوزر والعقوبة في الآخرة بلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف
بهمك وسخطك كما قيل ما قد قضى يا نفس فاصطبري له ولك الامان
من الذي لم يقدر والعاقل لا يختار الهم بلا فائدة مع الوزر و
العقوبة على راحة القلب وثواب الجنة والاصل الثاني
ما في التسخط من عظيم الخطر والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه
الله تعالى تأمل قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما نفى
الايمان واقسم على من سخط ووجد في نفسه حرجا من قضاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فكيف حال من سخط قضاء الله عز وجل وروينا ان الله تعالى يقول
من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليتخذ الها
ولم يشكر

سواه

سوائي قيل كأنه يقول هذا لا يرضاني ربا حين سخط فليتخذ ربا آخر
يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل عن الله عز وجل ولقد صدق
بعض السلف لما قيل له ما العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد يرضى فاذا
قضى الرب ولم يرض العبد فما هناك ربوبية ولا عبودية فتأمل هذا الا
صل وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه
دواء مر وشربة صبار كريه تجلب كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة
واذا كان الدواء بهذه الصفة فالانسان العاقل يكره النفس على شربه
وتجرعه ويتقوى على مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة راحة سنة
واما المنافع التي تجلبها الصبر فاعلم ان الصبر اربعة اقسام صبر
على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن و
المصائب فاذا احتمل مرارة الصبر فصبر في هذه المواطن الاربعة تحصل له
الطاعة ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع
في المعاصي وبلياتها في الدنيا وتبعاتها في الآخرة ثم لا يبتلى بطلب الدنيا

ومالها من الشغل في الحال والتبعة في المآل فانه لا يحبط اجره على ما ابتلي به
وذهب يحصل اذا بسبب الصبر الفائدة وستاتيها التسوية وثوابها والنفس
والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك امر لا يعلمه الا ٣٢٩
الله عز وجل واما دفع المضار فبيّنه اولا من مضرة الجزع ومقاساته
في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى واما ان ضعف عن الصبر وسلك
طريق الجزع فانه كل منفعة ويجذ كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة
فلا يفعل الطاعة ولا يصبر على حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة
عليها فلا يصل الى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة او لا يصبر
على معصية فيقع فيها او عن فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبته
فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع فيفوت العوض بسبب ذلك فيكون له
مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان
الصبر ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة فاي فائدة في
شيء يذهب بالحاصل المعجل ولا يرد عليك الذاهب المفقود اجتهد وانما

فانك

فانك احدهما فلا يفوتك الآخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا رضي الله عنه
عزى رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت مأجور وان
٣٢٠ جزعت جرت عليك المقادير وانت مأزور ثم اقول وجملة الامر ان قطع
القلب عن العلائق المألوفة وقلع النفس عن العادات الراسخة بالتوكل
المحض على الله جل اسمه وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله تعالى من غير علم
بما هو الخير فيها وكف النفس عن التسخط والجزع مع تسارع النفس اليه
واكراهها على لجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك لامر
مر وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة
محمودة واحول واحول سديدة سعيدة وما تقول في الطفل المشفق الغني
اذا منع ولده العزيز رطبة وتفاحة يأكلها وهو ارمد وسلمه الى المعلم
الغليظ الشانيس ويحبس طول النهار عنده ويضجره ويحمله الى الحجام
ليحجمه فيوجعه ويقلق له الاذى مع ذلك تحمل فيه كيف وهو يعطي الاجابة
ويؤثر عليهما او هو ان لهذا الولد كيف وهو يكتب له جميع ما في يده

او قصد بذلك اتعابه وايذاءه لبغضه كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده
ولو هبت عليه الريح لعز عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك وان بهذا
التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وما تقول في طبيب الناصح
المحب اذا منع المريض الذي نفى شربة ماء وهو ظمآن يتقلا كبده او سقيه
شربة اهليلج كريهة تجزع عنها نفسه وطبعه اترى ان ذلك معادات
وايذاء كلا بل نصح واحسان لما علم يقينا ان في اعطاء شهوته ساعة
هلاكه وعطبه راسا وفي منع ذلك شفاءه وبقاءه فتامل ايها
الرجل اذا احبس الله عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك ما تريد
ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا تخفى عليه شئ
في الارض فلا عدم ولا عجز ولا جفاء ولا بخل تعالى عن ذلك وتقدس فانه
اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم العلماء واجود الاجودين فتعلم
اذا بالحقيقة انه لم يمنعك الا الصلاح واختيار كيف وهو الذي يقول
خلق لكم ما في السموات والارض جميعا منه كيف وهو الذي جاد عليك بوفر
(وخلقكم)

وهي

وهي التي لا تسوي في جنبها الدنيا باسرها في الخبر المشهور ان الله سبحانه
(او لا تسوي) (او مع ما فيها)
يقول اني لاذود اوليائي عن النعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق
(او امنع)
ابله عن مبارك العرة واذا ابتلي بشدة اعلم يقينا انه عطف عليك عالم بحالك
(اي مهلكه)
حالك بصير بضعفك وهو بك رؤف رحيم اما تسمع قوله الله ارحم لعبده
من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه الا
الصلاح لكن جهلته انت وهو عليم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر
ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين اعز عباده حتى يقول صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا احب قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا رأيت الله يحبس عنك
الدنيا ويكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك
عنده لمكان كبير فانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج
الى ذلك اما تسمع قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل
اعرف منه عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك ويتركك

منازل الابرار والاخرة تعنه فكم نرى من عواقب حميدة ومواهب كريمة
والله ولي التوفيق بمنه وفضله فصل وفي الجملة اذا علمت يقيناً
ان الله تعالى الملي بضمان رزقك الذي لا بد لك منه في بقائك وقيامك بعبادته
فانه القادر على ما يشاء كيف يشاء وهو البصير بحاجتك حالا فحالا وساعة
فساعة ثم اتكلت على ضمانه الحق ووعده الصدق وسكن قلبك لذلك
واضطربت عن ذكر العلائق والاسباب وتعليق قلبك الى العلائق لا تقيك
[اي اعراض وترك]
ولا تكفيك دون الله تعالى فانه عز وجل ييسر اكلها وشربها ثم هو الذي
يمرؤها ويهنئها ثم هو الذي يحفظ قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها
وضررها وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها ان شاء فالامر كله اليه جل
لا شريك له فتوكل عليه لا غيره وكذلك تترك التدبير في امورك على يدي
السماء والارض وتريح نفسك عن كل شيء لا يبلغه علمك وفكرك من امر يكون غداً
او نظرك في امر يكون غداً او لا يكون بانه كيف يكون وتحقق من لعل
ولما ولو اذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون ا

امورك الخطيرة بالك فيكون ما سبق في فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت
العزيز فيه لغوا بلا فائدة بل حسرة ان تندم عليه وتغبن فيه لكان شغلا
القلب وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد رضي الله عنه
سبقت مقادير الاله وحكمه ٥ فارح فؤادك من لعل ومن لو
فلعل ما تخشاه ليس بكائن ٥ ولعل ما ترجوه ليس يكون
سيكون ما هو كائن في وقته ٥ واخو الجهالة متعب محزون
وتقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لا نهاية لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته
رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان بهذه الصفات فحقيق عليه ان يتوكل عليه
وتفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما يقضي
الله لك فهو لا محالة واقع وانه الاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول
بان الشيء المقدور كائن لا محالة فلا فائدة في السخط والجزع فيما يصنع
الله فلا وجه للسخط الست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه

والقضاء من مفتاح الربوبية وحقها نعلمك بالرضا كذا كذا إذا أصابتك مصيبة
وحل بك مكروه فحوّل إلى نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر منك
شكاية وقلق لا يستطاع عند الصدمة الأولى فإن الشيطان والنفس منازعة
جدًّا إلى العادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه قد وقعت فلا حيلة
لدفعها وقد دفع الله تعالى ما هو أكبر منها فإن أنواع البلاء في خزائنه
كثيرة وإن هذه ستنقضي فلا تبقى وإنها سحابة ستنقشع فتنجلي بأيسر قليل
تجد بعد ذلك سرورًا طويلًا وثوابًا جزيلًا وبعد أن لا دفع للنازلة ولا
فائدة في الجزع ولا مصيبة في الحقيقة مع العزاء فتشغل لسانك بالاسترجاع
وقلبك بذكر ما تحصل لك عند الله تعالى من الأجر وتذكر أولي العزم على المصائب
العظام من الأنبياء والأولياء الأعزة على الله تعالى وإذا حبس عنك الدنيا
في وقت فتقول يا نفس هو أعلم بالحال وأرحم بك وأكرم بك وإنه يطعم
الكلب في وقت خسته ويطعم الكافر في عداوته وأنا عبده العارف الموحد
لا أساوي عنده رغيفًا هذا المحال أيضًا فاعلم بالحقيقة أنه لم يحبس

ذلك

ذلك عنك إلا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرًا فإن صبرت قليلًا
ترى العجب من لطف صنعه أما سمعت قول القائل توقّع صنع ربك سوف يأتي ٥
بما تهواه من فرج قريب ٥ ولا تيأس إذا ما ناب خطب ٥ فكم بالغيب من عجب عجيب ٥
وقال آخر إذا اشتدت بك العسرى ففكر في ألم نشرح فعسر بين يسرين إذا ذكرته فافرح ٥
فإذا جربت هذه الأذكار ونحوها وأطبقت عليها بالتفكر والتدبر فإن
ذلك سيهون عليك إذا كانت لك همة واجتهاد زمانًا غير طويل وقد
دفعت هذه الأربعة العوارض عن نفسك وكفيت مؤنتها وصرت
عند الله تعالى من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على
بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن في الدنيا وعظيم الثواب
والذخر في العقبى وجليل القدر والمحبة عند رب العالمين فيجتمع لك خير
الدارين ويستقيم لك طريق العبادة إذ لا عائق ولا شاغل وكنت
حينئذ قد قطعت هذه العقبة العسرة والله تعالى المسؤول أن يملك
وإيانا بلطف توفيقه فإن الأمر كله بيده وهو أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا با
لله العلي العظيم ٥

الباب الخامس في العقبة الخامسة وهي

عقبة البواعث ثم عليك يا اخي بالتيقظ اذا استقام لك الطريق و
سهل السبيل وارتفعت العوائق وزالت العوارض ولا يحصل السير المستقيم
الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما حقهما على حدة اما
الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه
النفس الامارة بالسوء ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة فلا تنتهي
عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليست هي في طبعها
بهيئتها الا كما قال القائل
العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الملامة والنفس لا بد من
تقريعها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وفكرا ولحو ما ذكر
عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق فنزع
ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه ذوقي فنار
جهنم اشد حرا من هذه اي جيفة بالليل بطالة بالنهار والثاني

لئلا تعجب بالطاعة فتهلك بل تقمعها بالذم والعيب والتنقص بما فيها
من الاسواء والاوزار التي فيها ضروب الاخطار ونحو ذلك وكذلك النحو
ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو عذبني انا وعيسى اخذنا
بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب به احد واشار باصبعيه
وعن الحسن انه كان يقول ما يؤمن احدنا ان يكون قد اصاب
ذنبا فقطعت باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن
السماك فيما يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنا
فقين وفي الجنة تطمعين هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم
اعمال غير ما تعملين فهذه واشباهها مما يلزم العبد تذكيرها
للنفس وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة او تقع في معصية
وبالله التوفيق واما الرجاء فانما يلزمك استشعاره لامرين
احدهما ليبعث على الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر
والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في التي

منطبع

مشاهد طبعا والثواب الذي يُطلب بالطاعات عن العبد غائب

وأمد الوصول اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه

الحالة فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه حقه ولا تهتز له الا ٢٣٩

بامر يقابل كل هذه العوائق ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو

الرجاء القوي في رحمة الله تعالى وترغيب البالغ في حسن ثوابه

وكريم اجره **ولقد قال** شيخنا رحمه الله الحزن يمنع من الذنوب عن الطعام

والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني والخوف وعنه صح

يهون عليك احتمال الشدائد والمشقات واعلم ان من عرف ما

يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب له شيء ورغب فيه حق رغبته

احتمل شدته ولم يبال بما يلقى من مؤنته ومن احب احدا حق محبته

احب ايضا احتمال محنته حتى انه ليجد بتلك المحنة ضربا من

اللذة الا ترى مشتار العسل لا يفكر بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة

العسل والاجير لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار

الصفائح

الصفائف المديد لما يذكر اجرته يهين بالعشي وان الفلاح لا يفكر

بمقاسات الحر والبرد ومباشرة الشقاء والكد طول السنة لما يذكر البيدر

واوان الغلة فكذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا

٢٤٠ الجنة في طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعا

مها وشرابها وحليها وحللها وسائر ما اعد الله تعالى لاهلها هان

عليهم ما يحتمل المؤمن من تعب في عبادة او فاتهم في الدنيا من الرجاء او فوات

ولذة ونعمة في الدنيا او نالهم من ضرر او ذلة او نقمة ومشقة لاجلها

ولقد حكي عن اصحاب سفين الثوري رحمه الله انهم كلموه فيما كانوا

يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت

من هذا الجهد نلت مرادك ايضا انشاء الله تعالى فقال سفين كيف لا اجتهد

وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء

له الجنان الثمانية فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب فيخرون سبحانه

ساجدين فينادي ان ارفعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما هو

٢٤١

نور جارية بتلك الخيمة في وجه زوجها أنشأ يقول ما ضر من كا
نت الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بؤس وإقتار
تراه يمشي كئيباً خائفاً وجلاً إلى المساجد يمشي بين أطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار قد حان أن تقبلي من بعد إدبار

قلت أنا فإذا كان مدار أمر العبودية على الأمرين القيام بالطا
عة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الأمارة با
لسوء إلا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فإن الدابة الحرون
تحتاج إلى قائد يقودها وإلى سائق يسوقها وإذا وقعت في مهواة فربما
تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب آخر حتى تنهض
وتخلص مما وقعت فيه وإن الصبي العرم لا يمر إلى الكتاب إلا بترجية
من الوالدين وخوف من المعلم فكذلك هذه النفس دابة حرون
وقعت من مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها
وقائدها وإنما الصبي العرم يحمل إلى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار

والعقاب

٦ ٢٤٢

والعقاب تخويفها وذكر الجنة وثوابها ترجيتها وترغيبها فلذلك
يلزم العبد المقبل للعبادة والرياضة أن يتعاهد النفس بالأمرين اللذين
هما الخوف والرجاء وإلا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك وعلى هذا المعنى
ورد الذكر الحكيم بمجموع الأمرين الوعد والوعيد والترغيب والتهديد و
أبلغ في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا صبر عنه وذكر من
العقاب الأليم ما لا صبر عليه فعليك أيها المشفق والله تعالى ولي التوفيق
بفضله فإن قلت فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم
أن الخوف والرجاء عند علمائنا رحمهم الله يرجعان إلى قبيل الخواطر
وإنما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا الخوف عبرة تحدث في
القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية نحوه
تقتضي ذكراً من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراءة
ولكن قد يقابل بالأمن يقال خائف وآمن لأن [illegible] الأمن الذي
يجتري على الله عز وجل والحقيقة أن الجراءة بضادها ومقدمات الخوف

اربع الاول ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم

الذين مضوا الى الله بمظالمهم وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص منهم بعد

والثانية ذكر شدة عقوبة الله عز وجل التي لا طاقة لك بها

والثالثة ذكر ضعف النفس عن احتمال العقوبة والرابع ذكر

قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء **واما** الرجاء فهو ابتهاج

القلب بمعرفة فضل الله واسترواحه الى سعة رحمة الله وهذا

من جملة الخواطر غير مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته

وقد يسمى ايضا ارادة الخاطر باسم رجاء والمراد من هذا

الباب هو الاول وهو تذكر على حسب الابتهاج والاسترواح

وضده الياس وهو تذكر فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب

عن ذلك وهو معصية محضة وهذا الرجاء اذ لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع

عن الياس الا به والا فهو فرض بعد اعتقاد دليل في فضل الله وسعة

رحمته ومقدمات الرجاء اربع الاولى ذكر سوابق فضله اليك من

ورجاء هو مقدور للعبد

غير قدم ولا شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته

على حسب فضله وكرمه دون استحقاق قد اتاه بالفعل اذ لو كان على حسب

الفعل لكان اقل شيء واصغره والثالثة ذكر كثرة نعمه عليك في

امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير استحقاق

او سؤال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها غضبه فانه الرحمن

الرحيم الغني الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على

هذين من الاذكار افضى بك الى استشعار الخوف والرجاء بكل حال

فالله تعالى ولي التوفيق بفضله ومنه **فصل** فعليك ايها الرجل

بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وحد الرعاية فانها

عقبة دقيقة المسلك خطيرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين

مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس

وطريق الرجاء والخوف وهو طريق العدل بين طريقين لها

بين فان غلب عليك الرجاء حتى فقدت الخوف في الجملة وقعت

في طريق الأمن فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وإن غلب
عليك حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق اليأس ولا ييأس من روح الله
إلا القوم الكافرون فإن كنت تبيت بين الرجاء والخوف واعتصمت
بهما جميعا فهو طريق العدل المستقيم التي هي سبيل أولياء الله سبحانه
وأصفيائه الذين وصفهم بقوله تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا
ورهبا وكانوا لنا خاشعين فإذا ظهرت لك في هذه العقبة طرق ثلثة
طريق الأمن والجرأة وطريق اليأس والقنوط وطريق الخوف والرجاء
متتدة بينهما فإن ملت بينهما بقدم إلى يمينك أو يسارك وقعت في المهلكين
وهلكت مع الهالكين ثم لا شك أن الطريق بين الجانبين المهلكين لو
سع مجالا وأكثر ذا عيبا وأسهل سلوكا من الطريق العدل لأنك إذا نظرت
من جانب الأمن رأيت من سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده
ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتأمن وإن نظرت

ولا ييأس

من جانب

من جانب الخوف رأيت من عظيم قدرة الله تعالى وسياسته وهيبته
ودقة أمره وغاية مناقشته أولياءه وأصفياءه ما لا يكاد يبقى
معه رجاء فتيأس بمرة وتقنط فتحتاج إذا أن تنظر إلى سعة رحمة الله
فقط حتى تتكل وتأمن ولا إلى عظيم المناقشة فقط حتى تقنط وتيأس
بل تنظر إلى هذا وإلى هذا جميعا وتأخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا
فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم فالطريق الرجاء المحض
سهل واسع عريض وعاقبته تؤديك إلى الأمن والغرور وطريق الخوف
المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك إلى الضلال والطريق العدل بينهما
أعني طريق الخوف والرجاء وإن كان دقيقا عسيرا فإنه سبيل سالم ومنهج
متين يؤدي إلى الغفران والإحسان ثم إلى الجنات والرضوان ولقاء الملك
الرحمن أما تسمع قوله تعالى في أنبيائه وهذا السبيل يدعون ربهم خوفا وطمعا
ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فتأمل
هذه الجملة جدا وتنبه للأمر فإنه يجيء بالهوينا والله الموفق ثم اعلم ما
بفضله وكرمه

انه لا يتأتى لكل سالك هذا الطريق وحامل هذا النفس الجموح الكسل على الجبر بالاجتناب
عندها كتاب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتمسك بثلثة اصول والتذكر لها
على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ما ذكره تعالى في الترغيب والترهيب
والثاني ذكر افعاله سبحانه في الاخذ والعفو والثالث ذكر جزائه العباد في
المعاد من الثواب والعقاب والتفصيل لكل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة ولاجلها
صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات تكفي على
المقصود ان شاء الله تعالى **الاصل الاول** افعاله سبحانه تدبر ايها
الرجل ما في الكتاب العزيز من ايات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف
فمن ايات الرجاء قوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا ومن يغفر الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرؤف رحيم وكان بالمؤمنين
رحيما فهذه ونحوها ايات الرجاء ومن ايات الخوف والياس

قوله تعالى

واعجب من ذلك قوله ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقيبه

قوله تعالى يا عبادي فاتقون افحسبتم انما خلقناكم عبثا ام حسب الانسان ان
يترك سدى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا نسأل الله تعالى ان يسكننا برحمته ومن الايات اللطيفة
الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
ثم قال في عقيبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي عليه الرجاء
بمرة وقوله شديد العقاب ثم قال في عقيبه ذي الطول لئلا يستولي عليه الخوف بمرة والله رؤف بالعباد
واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقيبه والله رؤف بالعباد
واعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون
اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة فلا تكون الخشية
تطير قلبك بمرة فتكون تخويفا في تأمين وتحريكا في تسكين كما تقول اما تخشى
الوالدة الرحيمة اما تخشى الوالد الشفيق اما تخشى الامير الكريم والمراد
من ذلك ان يكون الطريق عدلا ولا تذهب الى امن ولا الى قنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه
برحمته انه هو الجواد الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

٢٤٩

الفصل الثاني

في افعاله عز وجل مع اولياء الله تعالى من جانب الخوف فاعلم
ان ابليس عبده ثمانين الف سنة فلعنه الى يوم الدين واعد له عذابا اليما
الى ابد الآبدين حتى يحكى انه صار ... صلوات الله وسلامه ان جبرائيل
عليه السلام متعلقا باستار الكعبة وهو يقول الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي
وهذا آدم صفيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جواره
انبسط في اكله اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي لا يجاورني من عصاني امر
الملائكة الذين حملوا سريره بحجره ... من سماء حين اهبطوه لم يقبل توبته فيما
روي حتى بكى عليها مائتي سنة ... من الهوان والبلاء ما لقي وبقيت ذريته
بتبعة ذكرها الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين
الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لما تكلم كلمة واحدة على غير موضعها فقيل
فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار
انه لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى اربعين سنة ثم ان ابراهيم الخليل عليه
لم يكن منه الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي

يوم الدين

٢٥٠

يوم الدين حتى روي انه كان يسمع من غلية الخوف في صدره ... فيرسل الله عليه ... ميل
جبرائيل عليه السلام فيقول يا ابراهيم هل رايت خليلا يعذب خليله بالنار
فيقول يا جبرائيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته ثم هذا موسى ابن عمران
عليه السلام لم يكن منه الا لطمة واحدة عن حنق فكم خاف واستغفر وقال
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث اذا نظر
يرى العرش وهو المعني بقوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه ولم يعمل آية واحدة
ولم يكن منه الا زلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولي
من اولياء الله حرمة واحدة فسلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود
فقال فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى الابد حتى سمعت
بعض العلماء يقول انه كان في اول امره يخبث اول من صنف كتابا ان
ليس للعالم صانع نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم
وفظيع حده لانه الذي لا طاقة لنا به فانظر الى خبث الدنيا وشؤمها
ما انه للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفي العمل

تنصيروا انا قد نصير فان ختم بالخير اعمالنا واقلنا عثراتنا فما
ذلك على الله بعزيز ثم ان داود عليه السلام خليفته في الارض اذنب
ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه فقال الهي
اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك
فلم يقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين سنة ثم ان يونس
عليه السلام غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجنه في
بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما ومونسا بان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وسمعت الملائكة صوته فقالوا
الهنا وسيدنا صوته صوت معروف في موضع مجهول قال تعالى ذلك عبدي
يونس فتشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى سجنه ثم قال تعالى فالتقمه الحوت وهو
مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
ثم ذكر نعمته ومنته فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء

وهو مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وكذلك خاطب جبرائيل سيد المرسلين
اكرم خلقه عليه بقوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصيره
حتى كان يقول صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود واخواتها قيل عنى هذه الاية واشكالها
في القرآن وقال تعالى واستغفر لذنبك اي امتن الله عليه بالغفران فقال ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وكان بعد ذلك صلى الله عليه وسلم يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون
اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول افلا
اكون عبدا شكورا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو اني وعيسى اخذنا بما كسبتها يداي
لعذبنا عذابا لم يعذبه احدا من العالمين وكان يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك ثم الصحابة الذين هم خير قرن في خير امة كان بينهم واتبعهم شيء من المزاح فكفى
فنزل قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية ثم وقع
في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود والسياسات العظيمة ونزل اداباتها كان

يونس بن عبيد يقول لأن أخطئ في ثمنه درهم خير من عفوه ... أن يكون
عنه به ... أسألك ... الكريم ... إنه لا يعاقب إلا بمحض كرمه
إنه أرحم الراحمين وأيضا جاء في الخبر وحدث عن رحمة الله تعالى الواسعة
ولا حرج ومن الذي يعرف غاياتها وكيف يحصي وصفها ونهاياتها فإن الذي عبد
الكفر سبعين سنة بإيمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف أما ترى في أمر سحرة فرعون الذين جاؤوا لحربه وحلفوا بعزة
عدوه لما قالوا آمنا عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب لهم جميع
ثم كيف جعلهم رؤوس الشهداء في الجنة أبد الآبدين فهذا مع من عرفه و
وحده ساعة بعد كل الكفر والطغيان والضلال والفساد فكيف حال من أنفق
في تحصيله عمره ولا يرى له إلها في الدارين غيره أما ترى أصحاب الكهف وما
عليه الكفر طول أعمارهم إذ قالوا ربنا رب السماوات والأرض ... كيف
قبلهم ثم أعزهم وأكرمهم فقال ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكيف عظم
لهم حرمة وألبسهم المهابة والخشية حتى يقول لأكرم الخلق صلى الله عليه وسلم

لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ... ذكرهم في
كتابه العزيز ... في الدنيا ... وبخلود الجنة في الآخرة
مكرما فهذا فضله مع الكلب ... خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه
أياما معدودة من غير عبادة أو خدمة فكيف مع عبده المؤمن الذي خدمه
ووحده وعبده سبعين سنة ولو عاش سبعين ألف سنة لكان قاصدا للتعبد
أما سمعت كيف عاتب إبراهيم في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب
موسى في أمر قارون فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث
بي لأغثته وعفوت عنه وكيف عاتب نوحا في شأن قومه بأنك تحزن على شجرة
يقطين أنبتها في ساعة وأيبستها في ساعة ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون
ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه العظيم عنهم بعدما ظللهم ثم كيف عاتب
سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيما روي أنه دخل من باب بني شيبة فرأى قوما
يضحكون فقال لم تضحكون لا أراكم حتى إذا كان عند الحجر رجع القهقرى
وقال جاءني جبرائيل فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي

عبادي انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلعم يقول لله ارحم بعباده المؤمنين
من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي صلعم ان لله تعالى مائة رحمة
فواحدة منها قسمها بين الجن والانس والبهائم فيها يتعاطفون وبها يترا
حمون وادخر منها تسعة وتسعين ليرحم بها عباده يوم القيمة واذا كان
عطاء من الرحمة الواحدة كله هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه
وتعالى والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة الى سائر
نعمائه الذي من النعم الله ظاهرة وباطنة فمن حقه من فضله العظيم ان يتم ذلك
فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل من تسع وتسعين رحمة لك
الحظ الوافر نسال الله تعالى ان يعاملنا من فضله العظيم بفضله انه السيد الكريم
الجواد الرحيم وبه نستعين **واما الفصل الثالث** في ذكر ما وعد واو
عد في لقائه فنذكر في ذلك الاحوال اربعة الموت والقبر والقيمة والجنة
والنار وما في كل منها من الخطر للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين
اما الموت فنذكر فيه حال رجلين احدهما ما روي عن [illegible] انه قال دخلنا

مع الشعبي على مريض نعوده وهو لما به وعنده رجل آخر يلقنه لا اله الا الله
وحده لا شريك له فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض وقال ان يلقنني فاني
لا ادعها ثم قرأ والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي
الحمد لله الذي نجا صاحبنا والآخر ما حكي ان تلميذ الفضيل بن عياض
حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس
فقال يا استاذ لا تقرأ هذا فسكت ثم لقنه ثم قال قل لا اله الا الله قال لا اقو
لها لاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين
يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى جهنم فقال بأي شيء
نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلامذتي فقال بثلثة اشياء اولها
بالنميمة فاني قلت لاصحابي خلاف ما قلت لك والثاني بالحسد
حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى الطبيب فسالته
عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة
فكنت اشربه نعوذ بالله من سخط الله الذي لا طاقة لنا به ثم ذكر

حلتين احدهما ما حكى عبد الله بن مبارك انه لما احتضر
نظر الى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام
الحرمين رضي الله عنه يحكي عن استاذه ابي بكر رحمه الله انه قال كان لي
صاحب ايام التعليم وكان مبتلى كثير الجهد بتعلم تقيا متعبدا
وكان لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من حاله
فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل الى بيت
المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتدت به الحال وانا جانبه فبينما هو
اذ شخص بصره الى السماء ثم قال لي يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون
وتوفي عند ذلك رحمه الله واما الآخر نحو ما روي عن مالك ابن دينار انه د
خل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار كلفت الصعود عليهما قال
مالك فسألت اهله فقالوا له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما
بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر علي الا عظما واب
الثبر والحال بعد الموت فلنذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض

الصالحين

بيتي بليلتي حو

والذي

الصالحين قال رأيت سفيان الثوري في النوم بعد موته فقلت له كيف
حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف حالك
يا سفيان فانشا يقول ۝ نظرت الى ربي عيانا فقال لي ۝ هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد ۝
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى ۝ بعبرة مشتاق وقلب عميد ۝ حريق جريح
فدونك فاختر اي قصر تريده ۝ وزرني فاني عنك غير بعيد ۝ والحال الثاني
ما ذكر ان بعضهم رأى في النوم شاحب اللون مغلولة يداه الى عنقه فقيل له
ما فعل الله بك فقال ۝ تولى زمان لعبنا به ۝ وهذا زمان بنا يلعب ۝
والحال الآخر احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد
ولم اره في المنام الى الليلة التي توفي فيها عمر بن عبد العزيز اذ تراءى لي تلك الليلة فقلت
فقلت يا بني الم تكن ميتا قال لا ولكني استشهدت وانا حي عند الله تعالى ارزق
فقلت ما جاء بك قال نودي في اهل السماء الا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد الا
وحضر الصلاة على عمر ابن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم
لاسلم عليكم واما الآخر ما روي عن هشام بن حسان انه قال مات لي

اني حدثت ورايته في النوم فاذا هو اشيب فقلت يا بني ما هذا الشيب قال لما
قدم علينا فلان زفرت جهنم زفرة لم يبق منا احد الا شاب منه نعوذ با
لله الرب الوجيه من عذابه الاليم وأما القيمة فتامل قوله تعالى
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد
يخرج من قبره فاذا البراق على راسه النبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى
جنات النعيم لا يخلى من عزه يمشي الى الجنة برجله واخر يخرج من قبره فاذا الى
هاوية والاغلال كل لا يخلى من الشقي يمشي الى النار برجله بل يسحب به الى سواء الجحيم
على وجهه نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كان يوم القيمة تخرج قوم من قبورهم لهم اجنحة كمثالها اجنحة
خضر تطير بهم في عرصات القيمة حتى انتهوا على حايط من الجنة فاذا رأتهم الملائكة
قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ما ندري لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فاتيهم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اي الامم فيقولون نحن من
امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل

وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قرأتم كتبكم فيقولون لا فيقولون الملائكة
ارجعوا فكل ذلك وبم اذكر تبلغون هذا اعطيتمونا من شيئا فنحاسب عليه وفي خيره
ما مكننا شيئا فنعدل ولا نجور ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي
منادٍ صدق عبدي ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى
افمن يلقى في النار خير ام من يأتي امنا يوم القيمة فاعظم بموجل شاهد بكم الله هولا
والزلازل والفضايح وهو امن لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه شغل نسأل الله تعالى
ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء وما ذكر عليه جرحه لا يعزيز وأما الجنة
والنار فما نزل فيهما ايتين من كتاب الله عز وجل احديهما قوله تعالى وسقيهم
ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال حكاية عن الاخرين
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وروي
انهم يصيحون عند ذلك كلابا يتعاوون فلك ان نعوذ بالله الرؤوف الرحيم من عذابه
الاليم فاذا الامر كما قال يحيى بن معاذ لا ندري اي المصيبتين اعظم فوت الجنان
ام الدخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى

٢٦١

وعن بعضهم قال فوت النعيم ومقامات الجنة هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود

إذ لو كان الأمر هينا ولكن الشأن في الابتلاء الآخر فأي قلب يحتمل ذكره وأي نفس تصبر على حال منقطعا لكان

على ذلك ولذلك قال عيسى عليه السلام ذكر الخلود يقطع قلوب الخائفين وذكر

عن الحسن أنه آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب ألف عام

ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال يا ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم

أليس يوما يخرج منها قلت أنا فرجع الأمر كله إذن إلى أصل واحد وهي النكتة

التي تنفطر لها الظهور وتصفر الوجوه وتنقطع القلوب وتذوب الأكباد وتدمع عيون

العباد وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي إليها خوف الخائفين وتبكي عليها

أعين الباكين ولقد قال بعضهم إن الغموم ثلاثة غم الطاعة أن لا يقبل و

وغم المعاصي أن لا تغفر وغم المعرفة أن تسلب وقال المخلصون بل الغم كله هو

الواحد بالحقيقة وهو سلب المعرفة وكل غم دونه إذ لم انقضاء ولقد بلغنا عن

ابن أسباط أنه قال دخلت على سفيان فبكى ليلة أجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب

فحمل تبنة وقال الذنوب أهون على الله من هذه وإنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام

الله

٢٦٢

الله ربنا الكافي سبحانه أن لا يبتلينا بمعصيته وأن يتم علينا كبير نعمته وأن يتوفانا

على ملة الإسلام إنه أرحم الراحمين وقد ذكرنا سبب سوء الخاتمة ومعناها في كتاب

إحياء علوم الدين فتأمل هناك فإن الخوض فيه ههنا خروج إلى الإكثار فتأمل

هذه الجملة فإن التفصيل الكثير لا يأتي عليه الدهر والذكر القليل تنتفع بعون الله و

حسن توفيقه فإن قلت فأي الطريقين أسلك طريق الخوف أو طريق الرجاء

يقال لك بل المركب بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجاء صار مرجئا بل إباحيا فإن عليه

يصير خرميا ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد أن لا تنفرد بأحدهما

دون الآخر فإذن بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي

كله لا ينفك عن الرجاء الحقيقي ولذلك قيل الرجاء كله لأهل الخوف إلا أن الخوف

كله لأهل الرجاء إلا اليأس فإن قلت فهل يكون أحدهما أرجح من الآخر وأكثر

ذكرا بالحال فاعلم أن العبد إذا كان صحيحا قويا فالخوف أولى وإذا مرض

وضعف لا سيما إذا أشرف على الآخرة فالرجاء أولى كذا سمعت العلماء يقولون

قلت وذلك لما روي أن الله تعالى يقول أنا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي

فيغيره رجاءه اولى في ذلك الوقت لضعف قلبه وهو فيه المتقدم في زمان
الصحة والامكان ولذلك قال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس الرجاء
الله خيار الكيس من حسن الظن بالله والتهيب منه فاعلم ان حسن الظن بالله
الحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد في خدمته واعلم ان ههنا
٢٦٣ اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو ان الفرق
بين الرجاء والامنية ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على اصل مثاله
من زرع واجتهد وجمع بيدره ثم يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز بكيال
فذلك منه رجاء واخر ما زرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنة
فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجو ان يحصل لي مائة قفيز فيقال له من اين لك
هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله
وانتهى عن معصية الله يقول ارجو ان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير
ويعظم له الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا
غفل عن ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضاه

ووعده

٨

منه بلا اصل
ووعده ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه ا
٢٦٤ امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء وحسن الظن وذلك خطا منه وضلال وقد
نظم هذا المعنى القائل ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
قلت وتمام بيان هذا الاصل ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وفي ذلك
قال حسن البصري ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست
لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن بربه لاحسن
العمل له ثم تلا قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين
وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا حنيرة العابد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد
فقلت يرحمك الله ان رحمة الله تعالى واسعة فغضب وقال هل رايت مني ما يدل
على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذن كان الرسل
والابدال والاولياء مع هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر من المعصية مستبطون
فابشر تقول اما كان لهم حسن الظن بالله بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله

وأحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا أن ذلك دون الاجتهاد أمنية وغرور
فاعتبر بهذه الملائكة وتأمل حالهم وانتبه من رقدتك والله تعالى ولي التوفيق

فصل

وجملة الامر أنك ان تذكرت سعة رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت
كل شيء ثم انك كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم
وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه الكريم بسم الله الرحمن الرحيم
ثم كثرة أياديه ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع أو قدم سابقة لك وتذكرة
من جانب الآخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه
الذي لا تقوم له السماوات والارض ثم غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع
دقة أمره وخطر معاملته في احاطة علمه وبصره بالعيوب والغيوب ثم حسن
وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الأوهام وشدة وعيده وأليم عقابه الذي لا تحتمل
ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى محنه ومخافته وطورا تنظر
الى نفسك في جفوتها وجنايتها فاذا فعلت تأدى بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء
وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد وعدلت عن جانبي الهلكتين الأمن

واليأس

واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج
فلا تهلكك برودة الرجاء ولا حرارة الخوف المحرق فتأتي بك وقد وصلت الى المقصد
غانما وسلمت من العقبتين سالما ووجدت النفس قد انبعثت للطاعة ودأبت في الخدمة
ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصي والمخازي وهجرتها
بمرة فالنوم الباكي أن نوم فإذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار طار نومه
وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين الذين وصفهم الله تعالى

انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
وكنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة ورائك باذن الله تعالى وحسن توفيقه
فكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك من ذخر كريم واجر عظيم في العقبى
فالله سبحانه اسأل أن يمدك وإيانا بحسن توفيقه وتسديده إنه أرحم الراحمين
وأجود الأجودين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب السادس

في العقبة السادسة وهي عقبة القوادح ثم عليك يا أخي أمدك الله وإيانا بحسن
توفيقه بعدما استبان لك السبيل واستقام لك السير تميز سعيك وصيانته عما

يلبده ويضيع عليك وذلك علامتين باقامة الاخلاص وذكر الثقة والاجتناب

عن حظه لامرين احدهما لانه فعله من الفانية وهو حسن القبول من الله تعالى

وفوز الثواب عليه والثانى فيكون مردودا اذا ذهب الثواب كلا او بعضا على

ما روى فى الحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يقول

انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا واشرك فيه غيرى فنصيبى له فانى لا

اقبل الا ما كان خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة اين الناس

ثواب عمله الم نوسع لك فى المجالس الم نكن الموصوف فى الدنيا الم نرخص

بيعك وشراءك الم نكرمك هذا واشباهه من الخطب والفرق [illegible]

الكتاب فضيحتان ومصيبتان اما الفضيحتان فاحديهما فضيحة السر

وهى اليوم على رؤس الملائكة وذلك ما روى ان الملائكة تصعد بعمل العبد

مبتهجين فيقول الله ردوه الى سجين فانه لم يردنى به فيفتضح ذلك العمل

والعبد عند الملائكة والثانية فضيحة العلانية وهى يوم القيمة على رؤس

الخلائق روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرائى يوم القيمة ينادى باربعة

اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلاق لك اليوم

التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروى انه ينادى يوم القيمة بمسمع الخلائق

اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فانى لا اقبل

عملا خالطه شىء واما المصيبتان فاحديهما فوت الجنة وذلك ما روى

ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومرائى والخبر

يحتمل معنيين احدهما ان البخيل من بخل بالقول باحسن قول وهو قول لا اله الا

الله محمد رسول الله وهذا المرائى من يرائى بالعمل رياء وهو المنافق الذى يرائى

وباباته وتوجيه وفى هذا القول توجيه والمعنى الثانى انه ينهه عن البخل

والرياء وكم مراء ننبه فنبه فطالب يحصه شوم ذلك على الرياء فيقع فى الكفر فتفوته

الجنة راسا والعياذ بالله والثانية يسلب ثواب الذى يخلد به النار نعوذ بالله

من سخطه وشديد غضبه المصيبة الثانية دخول النار وذلك ما حكى ابو هريرة

رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يدعى يوم القيمة رجل قد جمع ا

القرآن ورجل قاتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ الم اعلمك ما

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له يا رب فيقول له ما عملت فيما علمت فيقول
يا رب قمت به آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله
بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول
ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد فيقول بلى يا رب فيما عملت فيما آتيتك
قال كنت أصل الرحم وأتصدق قال الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت
ويقول الله بل أردت أن يقال إن فلانا جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي
قتل في سبيل الله فيقول ما فعلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت
حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال
فلان جريء فقد قيل ذلك قال ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ركبتي
وقال يا أبا هريرة أولئك أول خلق الله تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء
قيل يا رسول الله صلعم وكيف تعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي
هذه النصائح بلاغ لأولي الأبصار والله يتولى الهداية بفضله فإن قلت

فاخبرنا

فأخبرنا عن حقيقة الإخلاص والرياء وحكمهما وتأثيرهما في العمل فاعلم
أن الإخلاص عند علمائنا إخلاصان إخلاص العمل وإخلاص طلب الأجر
فأما إخلاص العمل فهو إرادة التقرب إلى الله عز وجل وتعظيم أمره وإجابة
دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الإخلاص النفاق وهو التقرب
إلى من دون الله سبحانه وقال شيخنا رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي
هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو من قبيل الإرادة لعله ذكرناهما في موضعها وأما
الإخلاص في طلب الأجر فهو إرادة نفع الآخرة بعمل الخير وما يعتبر خيره بحيث
لا حظ له في المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام
ما الخالص من الأعمال قال الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا التعريض لترك
الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص وقال الجنيد
الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات وقال الفضيل الإخلاص دوام المراقبة
ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والقول في هذه الكلمة
ولا فائدة في تكثير الكلام بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه

اذا سلم من الاخلاص فقال يعقوب رحمه الله تعالى ... كما العرش الا تحبه هواك ونفسك
ولا تعيد الا ذكره وتشتغل من ... ما سوى الله
عن محل النظر وهو الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع ا
الدنيا بعمل الاخرة ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط فالمحض ان تريد به نفع
الدنيا لا غير والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة هذا احدهما
واما ثانيهما فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر ان يجعله
مقبولا ووافر الاجر والتعظيم واتفاق يحبط العمل ويخرجه من كونه قربة مستحقا
عليه الثواب الموعود من الله تعالى فالرياء المحض لا يكون من العارف عند بعض
العلماء فانه كان ابطل نصف الثواب وعند اخرين قد يكون الرياء المحض من العارف
وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب بربع الاضعاف والصحيح
عند شيخنا رحمه الله ان الرياء المحض لا يكون من العارف مع التذكر الاخرة
ويكون مع السهو والمختار ان من تاثير الرياء رفع القبول والنقصان في
الثواب وان لا تقدير له بنصف او ربع وشرح هذه المسائل يطول وفسرها

في كتاب

في كتاب احياء علوم الدين شرحا مستقصلا واشبعت القول في اسرار
معاملات الدين فان قلت ... الاخلاص في اي طاعة يجب
ويجب فاعلم ان الاعمال عند بعض العلماء ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان
جميعا وهو العبادات الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء منهما وهو العبادات
الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو
المباحات الموخوذة للعدة قال شيخنا رحمه الله ان كل عمل تحمل التصرف الى غير الله
من العبادات الاصلية يقع فيها اخلاص العمل فاما اخلاص طلب الاجر قال شيخي
الكرامية لا يقع في العبادات الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله فامتنع فيها دواعي
الرياء فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا اراد من الله بالعبادة
الباطنة من الدنيا فهو ايضا رياء قلت انا فلا يبعد اذن ان يقع في كثير من العبادات
الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل يجب فيها الاخلاصان جميعا عند الشرع واما
المباحات الماخوذة للعدة يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذا هي
لا تصلح ان يكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة فان قلت هذا موضعها فبين لنا

العبد المقرب

وفضيلتان للعمل فاعلم ان اخلاص العمل مع بقائه لا محالة ولو يتاخر عنه واما اخلاص
طلب الاجر بالنية والخشية فعند بعض العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا
فرغ على اخلاص او رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه بعد وعند غيرنا من مشايخ
الكرامية ما لم تنل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه ان يخلص في ذلك العمل فاذا نال المطلق
فقد فات وقال بعض العلماء ان الفريضة يمكن اعادته ان فات ص فيها الى الموت واما
النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق بينهما ان الله تعالى ادخل العبد في الفريضة
فهو مطول منه ليتفضل والتيسر فيه واما النفل فالعبد الذي ادخل نفسه فيه فهو
وتكلفه فطولب بحق ما تكلف قلت انا وفي هذه المسئلة فايدة وهي ان من سبق
منه الرياء لو نوى الاخلاص في عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد الوجوه
التي ذكرناها قبل والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الذي تتبعناها الا في قلة
العاملين وقلة الرغبة في سلوك هذه الطريق والتقريب على المبتدي في العبادة
فان لم تجد لعلتك دواء في هذا الفصل وجدته في الآخر لانك تجد في الله مراضي والطرق
وعلل الاعمال وآفاتها فافهم راشدا ان شاء الله تعالى فان قلت كل عمل يحتاج الى الاخلاص

مفرد

مفرد فاعلم انه قد اختلفوا في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل انه يجوز
تناول اخلاص واحد بجملة من العبادات اما العمل ذو الاركان فكالصلوة والصيام
يكفيها اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصار كالشيء
واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير من الله تعالى ولا يريد من الناس شيئا من منفعة
او كرامة او منفعة ايكون ذلك رياء فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله
الاعتبار في الرياء بالمراد له بالذي يريد به فان كان مراده من عمل الخير نفعا
دنيويا فانه رياء سواء اراد به من الله او من الناس قال الله تعالى من كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وليس الاعتبار بلفظة الرياء
واشتقاقه من معنى الرؤية وانما سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم
لانها اكثر ما تقع يكون من قبل الناس ورؤيتهم فافهم فان قلت اذا كان القصد
من الدنيا التي يريدها من الله تعالى التعفف عن الناس والقوة على عبادة الله تعالى ايكون
ذلك رياء فاعلم ان التعفف ليس في كثرة المال والحطام انما هو في القناعة والثقة
بكفاية الله سبحانه واما القوة على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا يكون

رياء وكذلك ما يتصل بامر الآخرة واسبابها ويصير لطف كذلك فان يريد بعمل الخير هذا النوع
لا يكون بتلك الارادة في باب هذه الامور بصير بذلك النية خيرا او تصير في حكم اعمال
الآخرة ولا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اراد تعالى يكون ذلك تعظيما عند الناس
او محبة عند المشائخ والائمة يكون قصد ذلك من ذلك التمكن في تاييد مذهب الحق والرد
على اهل البدع او النشر للعلم او حض الناس على اهل العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد
بذلك شرف نفسك من حيث هي او دنياك ولها فان هذه كلها ارادة حديثة وبنات
نحوه لا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الآخرة بالحقيقة فان قلت
اني سالت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في ايام العسر
اليس المراد ذلك ان يدفع تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم شيء من الدنيا على ما
جرت به العادة فكيف تصح ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة فقال في جوابه رحمه الله
كلاما معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله قناعة او قوتا يكون لهم عدة على
عبادة الله وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا واعلم
ان هذه السورة اعني قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما

هو شيء وردت فيه الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
حتى كان ابن مسعود رضي الله عنه حين عوتب في امر ولده في انه لم يترك لهم دنيا قال لقد خلفت
لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في سنة جرت هذه الخصلة في بعض علمائنا ائمتهم
والا فلا يبالون بحمد الله بشدة في امر الدنيا او سعة وهم الذين يعتقدون
ضيق الدنيا وعسرها ويتفاءلون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى
نعمة عظيمة ويفرحون اذا بدا لهم سعة من الدنيا التي لا يعبأ بها اكثر الناس
الا للضيق والشدة اشد ما جاء من الله تعالى مصيبة كيف وبعض شيوخهم الاسفار
والطي في عموم سالكيهم ومقتديهم ويقولون الجوع راس مالنا فهذا
وضع مذهب اهل التصوف وهو مذهبي وهو مذهب اشياخي وبذلك
جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتاخرين فلا معتبر به وانا ذكرنا هذا
الفصل لئلا يغتر فيه من كان من جهلائه بمقاصد القوم في امورهم او يغلط
فيهم مبتدئ سليم الصدر لم ياخذ من العلم حقه بان يقول كيف يليق هذا الحال
اهل الزهد والتجرد وارباب الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا شيء ماخوذ

لا الاحسان والنعمة

من آفاته انه المقصود من الستة انه المقصود حصول القناعة والقلة لاشباع
الشهوة والتشهوة او الضعف عن احتمال الجوع والشدة و ما يرى في عقب
ذلك من فاعة الطلب وفقد للجوع وضعف الطعام ونحو علم
ذلك من افتتحته فاعلم هذه الجملة موفقا ان شاء الله تعالى **القادح الثاني** العجب
واما لزمك اجتنابه لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله
فان المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التوفيق والتأييد من الله فما اسرع
ما يهلك ولذلك قال النبي عليه السلام ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح عليه السلام يا
معشر الحواريين كم من سراج قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب فاذا كان
المقصود انما يتم بالعبادة وهذه الخصلة تحرم العبد على اذا لا يحصل الا حبه
فان حصل قليل من ذلك بشبهه حتى لا يبقى بيده شيء فحقيق ان يحذر من ذلك
ويتحفظ والله تعالى ولي التوفيق والعصمة **فان قلت** فما حقيقة
العجب ومعناه وما تأثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب

استعظام العمل الصالح وتعظيمه

استعظام العمل الصالح وتعظيمه عند نسيان منة ذكر العبد حصول شرف
العمل الصالح [illegible] دون الله عز وجل او الناس او النفس او الشيء قالوا وقد
يكون العجب مثلثا بان يكون من الثلاثة جميعا الخلق او النفس او
مثنى بان يكون من اثنين وموحدا بان يكون من واحد وضد العجب ذكر المنة
وهو ان يذكر من انه بتوفيق الله وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وهذا
الذكر فرض عند دواعي العجب نفل في سائر الاوقات واما تأثير العجب في العمل
قال بعض العلماء انما ينتظر الاحباط فان تاب قبل موته سلم والا حبط والذي ذهب
محمد بن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عنده ان يذهب عن العمل جميع الا
سر والحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مرضاة البتة وفي فعل غيره هو ذهاب
الاضعاف فلا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف ان الله تعالى هو الذي
وفقه للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه بفضله ومنته فاعلم ان ههنا
نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو ان الناس في العجب ثلاثة اصناف صنف
منهم المجبرة في كل حال وهم المعتزلة والقدرية لا يرون لله عليهم منة في افعالهم

ويكون العون والتوفيق للخاص والبطل وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف
هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون لا يعجبون بشيء من الاعمال وذلك لبصيرة
اكرموا بها وتاييد خصوا به والثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة
ينتبهون فيذكرون منة الله وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة
والفترة في الاجتهاد والنقص في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة
في افعالهم فاعلم ان في ذلك اختلافا فقيل انه يحبط لمكان اعتقادهم وقيل لا
يحبط عمل باعتقاد لجملة من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد
اهل السنة لا يمنع العجب في كل عمل حتى يخصه بذكر منة فان قيل فهل سوى العجب
والرياء من قادح في العمل فاعلم ان فيه قوادح لكنا خصصناهما بالذكر لانهما الاصل
الذي يدور عليهما معظم الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يحفظ
في العمل عشرة اشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب
والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر شيخنا رحمه الله ضد كل خصلة
منها واضدادها فضد النفاق الاخلاص في العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر

وضد

وضد التخليط التفويض وضد المن تسليم العمل لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة
تثبيت النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق
وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل في كونه رياء يوجب
رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا في الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان
اضعافها واما الندامة فانها تحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعاف
العمل والحسرة والندامة والتهاون تخفف العمل فيذهب زيادته قلت ثم القبول والثواب
عند التحصيل يرجعان الى المرغوب من التعظيم والاستحقاق والاحباط ابطال منافع
تكون بالفعل وبسببه ثم تارة يكون بابطال الثواب واخرى ابطال التضعيف
تكون بالفعل والثواب منه بعد تضعيف الفعل وقرائنه واصاله والتضعيف زيادة
على هذا والزيادة زيادة تحصل بمقتضى قرائن واحوال اخرى كالاحسان الى الواحد
من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء ففي الشيء يكون زيادة وهكذا
تضعيف فهذا التقريب ما تحققت به هذه المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل
فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات القواطع والمتالف وغاية التحرز فانه صاحب بضاعة

الطاعات قد قطع لها تلك العقبات وتحمل تلك المشاقات حتى حصلت لي بضاعة من العبادة
عزيزة شريفة فانه لا يخاف على قلبك تلك الا في هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر
ان يسلب فيها بضاعته ومثالك تحذر ان تبذل وانتهى الى ان تنسد عليه طاعته
اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذان المقطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر
في كل واحد منهما اصولا تنقطع بها جذورهما لعلك تكفى شرهما باذن الله اما الرياء فاذكر
اولا قوله سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان الله يقول اني خلقت السموات والارض وما
بينهما في كل هذه الصنائع والبدائع واكتفيت بنظرك لتعلم اني قادر عالم وانت
تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعائب والتقصير فلا تكتفي بنظري اليك وبعلمي وثنائي
عليك وشكري لك حتى تحب ان تعلم الخلق ليمدحوك بذلك يكون ذلك وفاء يكون
ذلك عقلا وبرضاه احد لنفسه ويحك فلا تغفل والاصل الثاني ان يكون لك جوهر
نفيس يمكنك ان تاخذ في ثمنه الف الف دينار فبعته بفلس اليس ذلك يكون خسرانا
مبينا وغبنا فظيعا ودليلا مبينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأي

ورتبة

ورتبة العقلاء وما يناله بعد بعلمه من الخلق من مدح وحطام بالاضافة الى رضاء
رب العالمين وشكره وثنائه وثوابه اقل من فلس في جنب الف الف دينار واضعاف
ذلك واكثر الا يكون ذلك من الخاسرين البين خبوة نفسه تلك الكرامات العزيزة
الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولابد لك من هذه الخسة
فاقصد انت الاخرة يتبعك الدنيا بل اطلب الرب وحده يعطيك الدارين
اذ هو مالكهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا
والاخرة وقال عليه السلام ان الله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة
بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت الهمة للاخرة حصلت لك
الدنيا والاخرة جميعا وان انت اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت وربما
لا تنال الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والاخرة جميعا
فتامل ايها العاقل الاصل الثالث ان الخلق الذي لاجله تعمل وترضاه
تطلب لو علم انك تعمل لاجله لابغضك ولسخط عليك واستهان بك واستخف بك
فكيف يعمل الرجل العاقل لاجل من لو علم به انه يطلب رضاه لسخط عليه واهانه

في جنب الدنيا وما فيها واكثر واكبر

اي الاخرة والدنيا

فاعمل يا مسكين لاجل من اذا عملت لاجله وقصدته بعملك وطلبت رضاه بذلك
احتسبوه اكرمك واعطاك حتى ارضاك فاغناك عن الكل وكفاك فهذه منه فافطن لها
ان كنت تعقل **الاصل الثاني** انه من حصل له شيء يمكن ان يكتسب به رضاء اعظم ملك
في الدنيا لو انه يطلب به رضاء كناس خسيس من الناس فيكون ذلك دليلا على السفه
ورداءة الراي منه وتنقص الحظ له ويقال له ما حاجتك الى رضاء هذا الكناس مع
امكانك من رضاء الملك تكون قد سخط عليك الكناس فاذا كان كذا فهذا حال المرائي
فان حاجته الى رضاء مخلوق حقير ضعيف مهين وهو ممكن من تحصيل رضوان رب
العالمين الكافي عن الكل فان ضعفت الهمة وكلت البصيرة حتى طلب رضاء مخلوق لا محالة
فيكفيك ان تجرد ارادتك وتخلص عملك لله فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل اليك
القلوب ويجمع لك النفوس ويستخرج حبك الصدور فتنال من ذلك ما لا
تناله بجهدك وقصدك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضاء المخلوقين دونه سبحانه
فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل لك
بهذا الامر سخط الله وسخط الخلق جميعا فيا له من خسران وحرمان لو تعقل ذلك

عن الحسن

عن الحسن رحمه الله قال كان رجل والله لا عبدن الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل المسجد
واخر خارج منه لا يراه احد حين الغفلة الا قائما يصلي وصائما لا يفطر ويجلس
الى الحلق ذكر فمكث كذلك سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي
وصنع فاقبل على نفسه وقال اراني في غير شيء لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله
الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون
رحمه الله فلان قد اقبل الى الخير ثم قرأ الحسن ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل يا مبتغي
الحمد والثنا بامر اتيا تبتغي الجاه قد خيب الله ذا ريا وابطل السعي الا لاه
من كان يرجو الله رب اخلص من خوفه النفاق لله الخليل والتارك ريبه تراه يسعى اتق الا لاه
والناس لا يملكون شيئا فكيف ترائيهم هذا الا ضلال **واما العجب** فلنذكر فيه فصولا
احدها ان فعل العبد انما صار له قيمة لما وقع من الله تعالى من الرضاء والقبول
والا فترى الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين
فكذلك اصحاب الصناعات والحرف تراهم يعملون في الليل والنهار فيكون قيمة ذلك

او كلمت من المشي الكلال كلا لا او كلالة اي التعب وتعبت
اي كثيرا بالصواب
الدانق سدس الدرهم

دراهم معدودة فان صفة النفل الى الله تعالى ... قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين
اجرهم بغير حساب ... ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ... مع احتمال التعب العظيم صار بعد
هذه النعمة بتأخير غدائه الى عشائه ووقفت لله ليلة قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته دانق او درهمين صالح
كل هذه النعمة والقدر بل جعلت لله ساعة تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل تنفيه لا اله
الا الله قال تعالى ومن يعمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب فهذا انفس من النفائس التي لا قيمة لها عند اهل الدنيا ولا
عنده فكم تضيع امثال ذلك في شيء كرهه عليك من الثمان بلا فائدة وصار هو فقد
منه هذا القدر العظيم لماذا الا انه لانه وقع مرضيا الله تعالى فعظم قدره وكثر فيه
بفضله لحقه انه تعالى قد اذن وحقا ان عمله وقلة مقداره من حيث هو وانه لولا
الا لمنة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله واعظم من جزائه واذ لم على فعله
من ان يقع على وجه لا يصلح لله ولا يقع منه موقع الرضا فقد ذهب عنه النعمة

لله التي حصلت له ويبقى الا ... من الثمن لخدمته من ... درهم او دوانيق
واحضر واختر ... ذلكم ... ومن ...
الريحان يكون ثمنه في السوق دانقا فاهدى ذلكم واحد مع سيده فيقع
موقع الرضا يهب له على ذلك الف دينار ربما وقع من الملك موقع الرضا فصار مثلا
قيمته حبة بالف دينار فان دام من الملك ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة
او دانق فكذا كلما فيه فتنبه وابصر منة الله وصنيعه عليك تعالى عاشيته فضل الله
عز وجل والثاني ما علمت من ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جراية من
طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانه يستخدمه بضروب الخدمة اناء
الليل مع ما في ذلك من ذل والصغار ويقوم على راسه فيحفد رجلاه ويسعى في قائما
بين يديه اذا ركب وربما الخادم ان يكون على بابه طول الليل حارسا وربما يبيد واله
عدو ويحتاج ان يقاتل حتى قد يبذل روحه التي له فلا يعفى منها لاجل كل هذه الخدمة
والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة القليلة الحقيرة مع انها بالحقيقة من الله تعالى
وانما هو بمنزلة سبب في ذلك فرب الذي خلقك ولم تك شيئا ثم رباك واحسن التربية
ومنازلات العقود من الخير والاضبارة من الرجاء ...

ثم انظر ما انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في دينك ونفسك ودنياك مما
يليق بهما بهجة وبهج فان عرفتني فانك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ثم انك تصلى ركعتين مع ما فيهما من العائب والآفات ومع ما وعد عليهما
في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم ذلك وتتعجب به
فليس هذا من شان عاقل اذا نظرت فهذه هي الثالث ان الملك
الذي من شانه ان يخدمه الملوك والامراء والنقباء على راسه السادة
والعظماء ويتولى خدمته الانبياء والحكماء ويطلب منحته العقلاء
والعلماء ويمشي بين يديه الاكابر والى ولاء اذا اذن لسوقي وقرابتي
بمقتضى رافته وعنايته لوفي بابه حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والاكابر
والافاضل في خدمته ومدحته وجعل له مقاما من حضرته معلوما
وينظر الى خدمته بعين الرضاء وان كان مشوشة معيبة اليس يعلم القدر
على هذا الحقير النذر من الملك وعظمه عنايته به فان اخذ من على الملك بتلك الخدمة
المعيبة ويستعظم ذلك ويتعجب به الا يقال ان ذلك لسفيه جدا او مجنون لا

يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان الهنا سبحانه هو الملك الذي يسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن اذ ما من شيء الا يسبح بحمده والعبود الذي يسجد له
من في السموات والارض طوعا وكرها ويخدم على بابه جبرائيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر الملائكة
المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين في منازلهم التي رفيعة
وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من الذين هم خدم على بابه آدم و
نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين
صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المرتبهم المنيعة ومناقبهم الشريفة
التي رفيعة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة من العلماء والائمة الد
والابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة واديانهم وابدانهم النقية
الطاهرة وعباداتهم الكثيرة الخالصة المتطهرة واذل الخدمة على بابه
ملوك الدنيا وجبابرتها ويخرون للاذقان ساجدين يعفرون الوجوه
في التراب خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين ضارعين ويعترفون

لم نعوقه والنقص بما جعلت من صغر حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي
لهم بفضله حاجة او بحاجة ويعتقهم بكرمه من النار انه مع هذه العظمة والجلال
والملك والكمال قد اذن لك في حضرته وعيوبك وقد اراك وانت الذي لو
استأذنت على رئيس بلدك فربما لا يأذن لك ان كلمت اميرنا حاجتك فربما
لا يكلمك وان سجدت لسلطان بلادك بالارض فربما لا يلتفت اليك فقد
اذن لك جل جلاله حتى تقبله وتثني عليه وتخاطبه بل ندبك عليه بالمسئلة
وباسطه فيقضي حاجتك ويكشف همتك ثم انه يرضى بركعتيك
بمعايبها بل يعد عليك من الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت مع
ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله عليك
في ذلك فما اشقاك من عبد وما اجهلك من انسان والله تعالى المستعان
والمشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فهذه فهذه فصل
وعلى وجه آخر الملك العظيم اذا اذن له دخال الهدايا اليه فيدخل بحضرة
الامراء والكبراء والي قرسا والاغنياء بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة

والهدايا النفيسة من الجواهر والاخاتم الثمينة والاعمال الجليلة فان جاء بقلق
باقة بقل او قرص بلا نعتبينها وبي لبنا او حبة فيدخل بحضرته ويزاحم
اولئك الاكابر والاغنياء بهداياهم الكثيرة الغريبة وهذا الملك يقبل على هدية هذا
الفقير فيدنيه وينظر اليه نظر القبول والرضاء ويأمر له بانفس خلعة وكرامة
الا يكون ذلك منه غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا الفقير يمن بذلك على الملك
ويعجب به ويستعظمه وينسى ذكر منة الملك الا يقال ان هذا مجنون مضطرب العقل
او سفيه سيء الادب عظيم الجهل فالان يجب انك اذا قمت ليلة ومكثت من
ليلتين فاذا فرغت فتفكر كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من الخدم في اقطار
الارض برها وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف المتقين والصد
يقين الخائفين والمشتاقين والمجتهد والمتضرعين وكم حضرة في هذه
الساعة بباب الله سبحانه من عبادة صافية وخدمة خالصة من
انفس خاشعة والسن طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة وصد
ور نقية واركان تقية وصلواتك ان كنت بذات المجهود في تحسينها

مضطرب اي مختلط

اي في اطراف

واصلاحها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم فلا
تنبهن في جنب تلك العادات التي تعرض هناك كيف وقد كانت منك عن
قلب غافل مختلط بانواع المعصية والعيوب وبدن نجس باقذار
الذنوب ولسان متلطخ بانواع المعصية والفضول فكيف يصلح هذا
ان تحمل الى حضرة الملك وكيف يستحيي ان تهدى الى رب العزة تعالى قال
شيخنا رحمه الله انظر ايها الغافل هل وجهت قط صلاة من صلواتك
الى السماء كهدية قد بعثتها الى بيوت الاغنياء ت ابو بكر الوراق
يقول ربما فرغت من صلاة الا استحيي حين فرغت منها اشد حياء
من امرأة فرغت من الزنا ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله
وعظيم قدرها اثنى ركعتين ووعد عليها جزيل الثواب ما وعد وانت
عبد في جنايته وعلمت ما علمت بتوفيقه وتيسيره مع ذلك تعجب بذلك
وتمنن منة الله عليك بهذا والله اعجب العجب لا يكاد يذهب شيء الا عن جاهل
لا فكرة له وغافل لا تهذيب له او قلب ميت خاو لا خير فيه فهذه هذه نسال الله

الكفاية بمنه وفضله **فصل** ثم اعلم بعد هذه الجملة تيقظك
الله قد تلك ايها الرجل في هذه العقبة والا كنت ضالا سريع فان هذه
العقبة اشد واشق وامر واضر العقبات استقبلتك في هذه الطريق
اذ اليها تنتهي ثمرة كلما مضى في العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان
كانت الاخرى فقد ضاع التعب كله وخاب الامل وبطل العمر ثم الشان
كله انه قد اجتمع في هذه العقبة ههنا ثلاثة امور الاول منها ان
الامر دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما دقة الامر
فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا
يكاد يتنبه لذلك الا كل مجتهد في امر الدين بصير يقظان القلب متحرز
وانى يطلع عليه الجاهل اللغوب والغافل النؤوم ولقد سمعت بعض
علمائنا يحكي ان عطاء السلمي رحمه الله نسج ثوبا فاحكمه
واحسنه جدا ثم حمله الى السوق فعرضه فاسترخصه البزاز
وقال ان فيه عيوبا كذا وكذا فاخذه عطاء وجلس يبكي بكاء

شديداً فقدم الرجل [illegible] البصير بيذل له في ثمنه ما يريد

[illegible] عطاء ليس في كل [illegible] ما يرى من القناعة وقد

اجتهد في [illegible] هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه ٣٦٣

عيب فلما عرض على البصير بعيوبه اظهر فيه عيباً قلنا نحن كنت

غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا اعرضت غدا على الله كم يبدو فيها

من العيوب في نقصان الذي نحن اليوم عنها غافلون وعن بعض

الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر فرغت الى شارعة اقرأ سورة طه

فلما ختمتها غفوت فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها

بين يدي واذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة

الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا والله

لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا ارى لها اثبت فقال

الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل

العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم

اسقطوا بكيت في منامي

ذلك

رفعت صوتك بها

ذلك فقال اني [illegible] رجل قد رفعت صوتك بها فحذفت هذه وأما [illegible]

الغبن فلان [illegible] والعجب فيه [illegible] لا تقدر عليك [illegible]

ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه فقال [illegible]

الطبق الذي اتيت في الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة الثانية

فنظر اليه سفيان وقال يا مسكين قد افسدت عليك هذه الحجة ووجه آخر

في الغبن ان اقل طاعة سلمت من هذه الآفة الرياء والعجب تكون لها من الله

عز وجل من القيمة ما لا نهاية له واكبر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة فتبقى

لا قيمة لها الا ان يتداركها الله تعالى على ما روي عن علي رضي الله عنه انه

قال لا يقل عمل الله تعالى البتة وكيف يقل عمل مقبول وسئل النخعي عن عمل

كذا وكذا ما ثوابه فقال اذا قبل لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان فيمن

قبلكم عبد الله سبعين عاما صائما يفطر من سبت الى سبت وطلب الى الله حاجة

فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان عندك خير اقضيت حاجتك

فانزل الله ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت نفسك خير من عبا

دتك

٣٦٤

التي مضت قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليس من الغبن ان واحد
يكون يتكلف ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره
ساعة افضل من سبعين سنة وخير اليس من الغبن العظيم انك ممكن
من ساعة خير من سبعين سنة وتترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه
لعظيم الغبن وان اغفاله لاشد الخسران وان خصلة التي لها هذا
الغبن والخطر يجب ان يحذر منه ويجتنب ولمثل هذا المعنى انما وقع نظر
اهل الاستبصار من العباد في مثل هذه الدقائق فاهتموا بمثل هذه
الاسرار بعد فتحها اولا ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغفلهم كثرة
الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة
واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكثر في هذا الباب
نظرهم جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العيوب واشتغلوا با
تعاب النفوس في الركوع والسجود والامساك عن الطعام والشراب
ونحوه فغرتهم العدد والكثرة ولم ينظروا اما فيها من الغش والصفوة

وما يغني

وما يغني عدد الجوز ولا لب فيها وما ينفع من الشقوق فلم تعلم بما
فيها وما يعقل هذه الحقائق الا العالمون بالله المكاشفون والله ولي التوفيق
والهداية بفضله واما اعظم الخطر ففي وجوه احدها ملك له نهاية
لجلاله وعظمته وله نعم عليك لا تعد ولا تحصى ولك بدن معيوب
بعيوب خفية معروف بافات كثيرة وانت محتاج ان ترفع كل ذلك مع
شارع النفس اليه فتحتاج ان تخرج عملا صافيا سالما من بدن معيوب
ونفس مائلة الى الشر امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في
جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومننه ويقع موقع الرضى والقبول
والا فيفوتك النفع العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما تصيبك
منه مصيبة لا طاقة لك بها وهذا شان عظيم وخطب جسيم واما جلا
ل الملك وعظمته بحيث الملائكة المقربين الذين يواظبون له بالخدمة انا
الليل والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم
من هو في ركوع ومنهم من هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل

ولا بقي القائم قيامه ولا بقي الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح
تسبيحه ولا المهلل تهليله ما دام به صوته الى نفخة الصور الثانية لما فرغ من هذه
الخدمة العظيمة نادوا جميعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا
سيد المرسلين وخير العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم
يقول لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك يقول انا لا اقدر اثني عليك ثناء
انت له انت فضلا ان اعبدك كما انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل
الجنة بعمله قال الراوي ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته واما النعم والايادي فكما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها وعلى ما روي ان الله تعالى يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة دواوين
ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات
بالنعم فلا يبقى حسنة الا اوتي بنعمة حتى تفنى الحسنات وبقي السيئات والذنوب
فلله تعالى فيها المشية واما عيوب النفس وآفاتها فقد قدمنا
في بابها في امر الخوف ان العبد يكدح ويتعب سبعين سنة غافلا عن عيوب

وآفاتها فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما ينعب اغواها فيفسد بساعة
واحدة واعظم خطرا من كل ما انه ربما ينظر الله تعالى قلبه وباطنه للخلق
فيطرده طردا لا قربة له والعياذ بالله ولقد سمعت بعض العلماء يحكي عن
الحسن البصري انه رئي في المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامني الله تعالى
بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوما تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم
فزدت حسنا لصلوتك لو لا ان صلوتك لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك عن بابي
مرة واحدة ولما كان له مرقى لجلية في من ابتدآء والصعوبة الى حد عظيمة
نظر اولو الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت
الى جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكي عن رابعة انها قالت ما ظهر
من اعمالي لا اعده شيئا وقال آخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وآخر
يقول ان امكنك ان تجعل لك خبيئا فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة بم
ترجين باياسي عن جل عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن
دينار فقال مالك اما طاعة الله او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله

او الت زما احوج ... [illegible] عن ابي يزيد البسطامي رحمه الله انه قال
كابدت العبادة ... [illegible] سنة فرايت قائلا يقول يا ابا يزيد خزائنه مملوءة
من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والاحتقار وسمعت
الاستاذ ابا الحسن يحكي عن الاستاذ ابي الفضل انه كان يقول اني اعلم
ما اعمل من الطاعات غير مقبولة فقيل له في ذلك فاجاب اني احتاج
اليه العمل حتى يكون مقبولا واعلم لسنة اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة
فقيل له فلم تفعلها قال عسى ان يصلحني الله بعد فتكون النفس معودة لفعل
الخير فلا احتاج الى ان اعودها ذلك من الراس وهذه حال هؤلاء الاعلام
وذي المجاهدات والاقدام قال الشاعر فاطلب لنفسك صحبة مع
غيرهم ودع الاياس وخابت الامال هيهات تدركه بالتواني انه
والتفرك وساعدوا الاقبال فانهم رايت انك انت هاهنا الخبر الماثور
عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه في غير
كتاب روي عن ابن المبارك عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظته وذكرته في كل يوم من شدته
ودقته قال نعم ثم بكى طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي
في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث
ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله يا معاذ
ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان خلق السموات لكل سماء ملكا وجعل
على كل باب من ابواب السماء ملكا بوابا على قدر البناء وجلاله فتصعد
الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ سماء الدنيا والحفظة
تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من
يغتاب الناس ان يتجاوزني الى غيري ثم تجيء من الغد [illegible] بعمل صالح له نور تستكثره الحفظة
وتزكيه حتى انتهوا به الى السماء الثانية قال ملك الابواب قفوا واضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه فانه اراد به عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري [illegible] وتصعد الحفظة

وتصعد الحفظة

تصعد الحفظة بعمل العبد يتبهج في صلوة وصيام وكثير من البر فتشيعه الحفظة وتزكيه
فاذا انتهى به الى السماء الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه [illegible]
الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيري انه كان يتكبر على الناس
في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما تزهر النجوم والكواكب
الدري وله دوي وتسبيح بصوم وصلاة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء
الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا
صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري
انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الحفظة بعمل العبد
ويزف كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهى الى السماء الخامسة
بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول
الملك انا ملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما آتاهم
الله من فضله فقد سخط ما رضي الله امرني ربي ان لا ادع عمله

يتجاوز

يتجاوزني الى غيري وتصعد الحفظة بعمل العبد بضوء تام وصلاة
كثيرة وصيام وحج وعمرة حتى يتجاوز بها الى السماء السادسة فيقول
الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انه كان لم يرحم قط انسانا ولا اصيب عبد بشيء [illegible] امرني ربي ان لا ادع
عمله يتجاوز الى غيري وتصعد الحفظة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم
وصلاة وجهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء البرق فاذا
انتهى الى السماء السابعة يقول الملك الموكل بالسماء انا صاحب
الذكر يعني السمعة والصيت في الناس ان صاحب هذا العمل اراد به
الذكر في المجالس والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء امرني ربي
ان لا ادع عمله يتجاوز الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو
رياء ولا يقبل الله عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة
وزكاة وصوم وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه
الملائكة السموات السبع حتى تقطع الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدي الله جل جلاله

ويشهد له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى انتم الحفظة
على عمل عبدي وانا رقيب على ما في نفسه انه لم يرد بهذا العمل ولا اخلصه
لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الادميين وغركم ولم يغرني
وانا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى على خافية ولا
تعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي
وبالاولين كعلمي بالآخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي
بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه
لعنتي وتقول الملائكة السبعة والثلاثة الآلاف المشيعون يا
ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة
اللاعنين ثم بكى معاذ رضي الله عنه وانتحب انتحابا شديدا او قال رفع الصوت قلت
يا رسول الله صلعم كيف النجاة مما ذكرت قال اقتد بنبيك في اليقين قلت
انت رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف النجاة والخلاص قال نعم
يا معاذ اذا كان في عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة

في الناس

ومن اخوانك من حملة القرآن ... اليد ... تحقيقه

في الناس مما تعلمه من عيب نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك
ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك ولا ترائي بعملك كي تعرف في الناس
ولا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك امر الآخرة ولا تناج رجلا و
عندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة
ولا تمزق في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس
بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا يعني
تنزع اللحم عن العظم قلت يا رسول الله ومن يطيق هذه الخصال قال
يا معاذ ان الذي وصفتك ليسير على من يسره الله عليه وانما يكفيك ان تحب
للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد سلمت قال خا
لد بن معدان وكان معاذ لا يكثر من قراءة القرآن كما يكثر من تلاوة هذ الحديث
وذكره في مجلسه فلما سمعت انها انتجار هذا الحديث العظيم نبأه الكبير خطره
الاليم اثره الذي تطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور
وتجزع من هوله النفوس واعتصم بمولاك رب العالمين والزم الباب

والتضرّع والابتهال والبكاء آناء الليل واطراف النهار مع التضرّع عن
التغافل فانّه لا نجاة في هذا الامر الّا برحمته ولا سلامة من هذا البحر
الّا بنظره وعنايته فتنبّه من رقدة الغافلين واغتنم الامر حقّه و
جاهد نفسك في هذه العقبة الخوف لعلّك لا تهلك مع الهالكين والله
المستعان بالله تعالى على كلّ حال فانّه خير معين وهو تعالى ارحم الراحمين
ولا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم فصل وجملة الامر انّك
اذا احسنت النظر فرأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت عجز الخلق وضعفهم
وجهلهم فلا تلتفت بقلبك وكن زاهدا في ثنائهم ومدحتهم وتعظيمهم
الذي لا فائدة تحته فلا تريد بطاعتك شيئا من ذلك فرأيت خسّة
الدنيا وحقارتها وسرعة فنائها وزوالها فلا تريد لها ايضا بطاعتك من الله
نعمة وتقول يا نفسي اثناء ربّ العالمين وشكره واعزازه خير ام ثناء
المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة
وما تحمّلت فيه وما يبلغون حقّك فيما عملت وتحمّلت به بل ربّما يفضّلون
عليك من هو ادنى منك حالا بالف درجة ويضيّعونك في احوج الاوقات اليهم

قدر قيمهم

ويتركونك فان لم يفعلوا ذلك فما ذا عسى ان يكون بايديهم والى ماذا يبلغ
فرب هو في قبضة الله تعالى بيصرفهم كيف شاء الى ما شاء فاعلم انّها انفس ولا تضيع طاعتك
العزيزة ولا تفوتك ثناء من ثناؤه كل الفخر وعطاء من عطاؤه كل الذخر وتقتصر في الغايات
خسّهم العيوب بلغيم وجعلك باطلا وبكاء لا يغني فتعمل ضائعا ثم قل يا نفسي الجنّة
الخلد خير ام لطف من حطام الدنيا وحطامها النكد الفاني وانت متمكّنة من ان تحصل
بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكون خسيسة الهمّة دنيّة الارادة ودنيّة الافعال اما
ترين الحمام اذا كان نساويا كيف تعلو قيمته ويزداد قدره فارفعي بطاعتك همّتها
الى السماء وجرّدي قلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر كلّه ولا تضيّعي طاعتك
من طاعتك بلا شيء وكذلك اذا احسنت التأمّل فرأيت ايادي الله ومنّته
العظام عليك في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك آلاتها ولا تهيّا
اذا ح العوائق حتى تفرغ لهذه الطاعة ثمّ بانّه خصّك بالتوفيق لها التي
ويسّرها عليك وزيّنها بقلبك حتّى عملتها ثمّ انّه مع جلاله وعظمته واستغنائه
عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك اعدّ لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل
والثواب العظيم الذي لا تستحقّه رابعا ثمّ شكرك على ذلك واثنى عليك احيك

ييسّر
استغنائه
بذلك

خاسئا فهذه كلها بفضله العظيم لا غيره والا فبأي استحقاق او اي قدر لمثلك
الحقير المعيوق فاذكري ايتها النفس منة ربك الكريم عليك فيها احسن الذكر في هذه
الطاعة انك المنقطع والابتهال الى الله تعالى بان يتقبلها اما تسمعين قول
خليله ابراهيم عليه السلام لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل اليه
في ان يتفضل عليه بالقبول فقال ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
فلما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء فيكون من عليك بقبول هذه الطاعة
فقد اكمل المنة واعظم النعمة ويالك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم
تكون بذلك في خلعة ونعمة وذكر وكرامة وان تكن الاخرى فيالك من خسران
وغبن وحرمان فاهتمي واشتغلي بهذا الشأن فاذا واظبت على مثل هذا
وكونه على قلبك عند الفراغ من كل عمل واستعنت بالله تعالى صونك عن
الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن المرايات والاعجاب وبعثك
على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله تعالى عليك
في جميع الحالات حصلت بهاتين [illegible] طاعات [illegible] لا عيب فيها
وخيرات خالصة لا تشوب فيها وعبادات متقبلة لا نقص بعدها

بل مثل هذه الطاعة وان حصلت لك في العمر منه واحدة مثلا مرة واحدة لا غير
فانها بالحقيقة كبيرة لعمري فانها وان قل عددها لعظم شأنها وعظم قدرها
وكثر نفعها وطاب عقباها وان التي يقبلها عزيزة والفضل لله تعالى على العبد كبير واي
هدية اجل من هدية يقبلها رب العالمين واي سرور اكرم من سعي يشكره ويجيب دعوة المضطر
ويثني عليه رب العالمين واي بضاعة اعز من بضاعة اشتراها ورضيها رب العالمين
فتأمل ايها المسكين واياك ان تكون من المغبونين وانا حريص على هذه الجملة
كلها من المخلصين لله تعالى الذي يغني الذاكر بين لسانه الم صقيق وكنت قد خلفته هذه العقبة
المخوفة والكؤود [illegible] فايا اعلى الله بد [illegible] والله ولي
التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العقبة السابعة**

وهي عقبة الحمد والشكر ثم عليك وفقك الله واياي بتوفيقه بعد قطع
هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادة السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله تعالى
على هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني
لحصول الزيادة واما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول
وقال سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم اوابد

وكان الله شاكرا عليما

فوائدها وابد الوحش فقيدها بالشكر لانه يحصل الزيادة فلهذا كان الشكر
هو قيد النعمة ومعين الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالسبب الحكيم اذا رأى
العبد قد قام بحق نعمة من عليه بالشكر ورآه اهلا لها والا فيقطع ذلك
النعمة عنه ثم النعمة قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة
دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع وهي ضربان الخلقة السوية
في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح
وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان
احدهما في النفس بان سلمك من آفاتها وسائر آفاتها وعللها والثاني دفع
ما يلحقك به من ضرر من انواع العلائق او يقصدك بسوء من انسي وجني او سباع
او هوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة
فنعمة التوفيق ان وفقك الله اولا للاسلام ثم للسنة والطاعة ونعمة العصمة
ان عصمك الله اولا عن الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلال ثم سائر المعاصي

وتفصيل

وتفصيل ذلك لا يحصيه الا الله العالم الذي انعم عليك كما قال الله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولان الدوام على النعمة كلها بعد
ما من بها عليك والزيادة عليها من كمالها منها ما لا يحصيه ولا يبلغه
وهمك كلها بعد ما من بها تتعلق بشيء واحد وهو الشكر والحمد لله
وان خصلة تكون لها كل هذه القيمة ويكون فيها كل هذه الفائدة
لحقيق بان تتمسك بها من غير اغفال لحال فانه جوهر ثمين وكيمياء
عزيز والله ولي التوفيق بفضله ومنه ورحمته وكرمه فان
قيل فما حقيقة الشكر والحمد ومعناهما وحكمهما فاعلم ان
العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل ان الحمد من اشكال
التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من اشكال
الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولان الشكر يقابل
الكفر وان الحمد يقابل النعمة ولان الحمد اعم والشكر اخص وقل
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فتنبه انهما معنيان متميزان
ان ثم الحمد هو الثناء على احد بالفعل الحسن وهذا منقح كلام شيخنا رحمه الله

٢١١

واما الشكر فتكلموا في معناه واكثروا فعن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية
وإلى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو اداء الطاعة في الظاهر
والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر
هو الاحتراس عن اختيار معاصي الله تعالى تحترس على قلبك ولسانك
وأركانك حتى لا تعصي الله تعالى بشيء من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله
وبين قول الشيخ الا قل انه رحمه الله جعل الاحتراس معنا مثبتا زائدا
على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب في المعاصي ما هو الا ان لا
فعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى محصلا يكون العبد
به مشتغلا وعن الكفران معتصما وقال شيخنا رحمه الله ان الشكر تعظيم
المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه من جفاء المنعم وكفرانه
ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه ليصح ان يكون
من الله تعالى الشكر للعبد لحسن وفيه تفاصيل وشرحناها

في

٢١٢

في كتاب احياء العلوم الدين وغيره ولكن التحصيل ان الشكر من العبد
تعظيمه يمنعه من جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وهو حال
الشاكر في شكره وقبح حال الكافرين في كفرانهم قلت انا اقرب ما يستوجبه
النعم برحمته ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعم المنعم
سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذا من فرض الشكر في حقيقته ان يكون له
من الله تعظيم الله بجنانه وتعظيما يحول بينه وبين معاصيه على حسب
تذكر نعمه فان اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم بقابل ذلك بالجد في
الطاعة في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعم فلا بد من الاحتراس
عن المعصية وجهد وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان
موضع النعم دينية ودنيوية على اقدارها واما الشدائد والمصائب في
الدنيا في نفس واهل او مال فتكلموا في ذلك هل يلزمه الشكر عليها
قال بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها من حيث هي وانما يجب
العبد فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير وقالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم

الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المترتبة بها دون نفس الشدة وتلك النعم
ما قال ابن عمر ما ابتليت ببلية الا كان الله تعالى علي فيها اربع نعم
انها لم تكن في ديني واذ لم تكن اعظم منها وان لم احرم الرضى بها واذ رجوت
الثواب عليها وقد قيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زائلة غير دائمة
وانها من الله تعالى دون غيره واذا كانت بسبب مخلوق فانها لك
عليك لا له عليك فاذا يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة وقال
اخرون وهو الاولى عند شيخنا ان شدائد الدنيا انما يلزم العبد
الشكر عليها لان تلك الشدة نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد
لمنافع عظيمة وثواب جزيل واعواض كريمة في العاقبة لا شيء
في جنبها مشقة هذه الشدائد واي نعمة تكون اكثر من هذه ومثال ذلك
من يسقيك دواء كريها مر المذاق شديدا او يفصدك او يحجمك لعلة عظيمة
مخوفة للخلط فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفاء
العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء او جراحة الفصد والحجامة
نعمة بالغة بالحقيقة وصنعة ظاهرة وان كان في صورة فعله بك مكروها

كان الله عليه السلام

ينفر عنه الطبع وتستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى ذلك هذا
بل تحسن اليه بما امكنك وكذلك حكم هذه الشدائد ايلاما ترى النبي صلعم
كيف حمد الله وشكره على الشدائد كشكره على المسار حيث قال الحمد لله على السراء
والضراء الا ترى كيف جعل جلاله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا وما سماه الله خيرا فهو اكثر مما يبلغه وهمك ويؤكد هذا
القول ان النعمة ليست خيرا لعين اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع وانما
هي نعمة بما يزيد في رفعة الدرجة ولذلك تسمى نعمة في بعضها الزيادة وان كانت
الشدة تثمر انما تصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فيكون نعما بالحقيقة
فان قلت وان كانت نعمة في الشدائد والمحن بهم بها فاعلم ذلك موفقا
فان الشكر افضل ام الصبر فاعلم انه قيل ان الشكر بدليل قوله وقليل من
عبادي الشكور وجعل بعضهم احض الخواص وقال في مدح نوح انه كان عبدا شكورا
وقال في ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه ولانه في منزلة الانعام والعافية
وذلك قيل لان انعم علي فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقيل بل الصابر افضل

الاولى ان كان عليه السلام نبى فى بلده والاولياء امروى

لأن أعظمهم مشقة فيكون أعظمهم ثوابا وأرفع منزلة قال الله تعالى إنا وجدناه
صابرا نعم العبد وقال إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقال الله
تعالى والله يحب الصابرين قلت إن الشاكر بالحقيقة لا يكون إلا صابرا والصابر
بالحقيقة لا يكون إلا شاكرا إلا أن تكون في دار الجنة لا يخلوان محنة يصبر عليها
لا محالة ولا يجزع فإن الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه والجزع عصيان
والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا أن الشدائد نعم بالحقيقة على معنى المقدم
فإنه شكر بالحقيقة إذا صبر لأنه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو
الشكر بعينه إذ هو تعظيم يمنع نفسه عن عصيانه ولأن الشاكر يمنع نفسه
عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار
صابرا على الحقيقة والصابر عظم الله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما أصابه
وحمل على الصبر فقد شكر الله فصار شاكرا بالحقيقة ولأن حبس النفس كفران
مع قصد النفس لها أنه لا يصبر وعليها الشاكي وتعتبر الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها
الصابر فأحدهما لا ينفك عن الآخر ولأن البصيرة باعثة عليهما واحدة وهما

شاكرا وبامر

بصيرة

بصيرة مستقامة في قول بعض علمائنا في هذه الوجوه قلنا إن أحدهما
لا ينفك عن الآخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق **فصل** فعليك أيها
الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة
العنصر العظيمة القدر وتأمل أصلين أحدهما أن النعمة إنما يعطى من يعرف
قدرها الشاكر ودليل على ما قلناه قوله سبحانه في الحكاية عن الكفار
والثاني أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ظن
أولئك الجهال أن النعمة العظيمة والمنة الكريمة إنما يعطى من يكون أكثرهم
مالا وأشرفهم حسبا ونسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء يخصهم من بين العبيد
وأنه خطر لعظم هذه النعمة العظيمة يخصهم دوننا فقالوا على طريق الإ
ستنكار وتحجيا أو استهزاء أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فأجابهم الله
تعالى ثم قال لهم لما حكى هذه النكتة الزاهرة فقال أليس الله بأعلم بالشاكرين فتقرير
الكلام أن السيد الكريم إنما يعطي نعمته من يعرف قدرها وإنما يعرف قدرها
من أقبل بنفسه وقلبه واختارها على غيرها ولا يعبأ بما خلا من أعباء النعمة

في تحصيلها ثم لا يزال قائما بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق
ان هؤلاء الضعفاء يعرفون قدر هذه النعمة كلها ويقومون بشكرها
فكانوا اولى بهذه النعمة كلها ويقومون بشكر فكانوا اولى بهذه النعمة منكم
فلا تعجب بغناكم وثروتكم ولا جاهكم في الدنيا وحشمكم ولا نسبكم
في الانساب ولا حسبكم انما تحسبون النعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب
والنسب لا الدين والحق ومعرفته وانما ذلك تفاخر وتنبيه اما ترون
انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والعلم والخلق الا بمنة على ما اتيكم
به وذلك لاستحقاركم ذلك وقلة مبالاتكم به وان هؤلاء الضعفاء يتلقون
انفسهم على ذلك ويبذلون مهجتهم فيه والبيت لو يهاون بها فانهم مع علمهم
مع ذلك لتعلموا انهم هم الذين عرفوا قدر هذه النعمة العظيمة ورسخ
في قلوبهم تعظيمها وحقها عليهم فوق كل شيء دونها وطاب لهم احتمال
كل شقة يستغرقون فيها جميع العمر في شكرها فلذلك استاهلوا هذه النعمة
الكريمة والنعمة العظيمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم فهذه

هذه ثم اقول وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى من نعمة
من نعم الدين علما او عملا فانك تجدهم بالحقيقة اعرف الناس بقدرها
واشدهم تعظيما لها واجدهم في طلبها وتحصيلها واعظمهم
في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم الله ذلك فلقلتنا حتى
لهم وقلة تعظيمهم لحقها بعد قدرها الشايع فلو كان تعظيم العلم
والعبادة في الخلق للتوفية والعافية مثل ما في قلوب العلماء
والمتعبدين لما اثروا ما سواهم عليه وهان تركه الا ترى ان فقيها اذا اطلع
ما يعلم شيئا كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره
ويحل موقعها من قلبه مثله حتى انه ربما لو وجد الف الف درهم ما كان يعدل
ذلك وربما يهمه امر مسألة في باب الدين ويتفكر فيها سنين بل عشرين بل
عشرين واكثر ولا يتفكر ذلك ولا يمل حتى ربما رزقه الله فهم ذلك
فيعده اكثر منة واعظم نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى كل غني واشرف
كل شريف بل ربما يتمنى مثل هذه المسألة لو فني او يسعلو المحجة

كمثل من يرى من نفسه الرغبة في التعلم والمحبة له ثم لا يستمع
اليه حقه وربما ان ظهر عليه الكلام بالاوساوس بنقص ذكره فلا
يعرج كبير الشيء وكذا الكل المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويداب في ايامه
والصيانة النفس عن الشهوات واللذات والتجام كان في الحركات
والسكنات عسى ان يتمم الله له ركعتين في ادب وطهارة وخير يتضرع
الى الله تعالى ان يرزقه ساعة مناجات بصفوة وصدوة فلمن
ظفر بذلك في شهر بل في سنة مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك اكبر منه واعظم
نعمة فكم يجب عليه شكر الله تعالى ولا يكترث بها فاستار من انتقاصه كابد
من البلاء وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذي يزعم انه راغب في العبادة
يحب ان يحصل ما شاء لو احتاج احدهم مثل هذه العبادة الصافية
الى ما في يده من نقصان لقمة من عشائه او ترك كلمة لا يعنيه او دفع
نوم ساعة في اثناء حصول عبادة هي في صفوة فلا يعدونها خطيرا
عبادة
ولا يقدمون فيه كثير شكر وانما يعظم سرورهم ويكثر بانفسهم حمدهم

اذا حصل

اذا حصل لهم دين ما واستقامة لهم كسوة الطاب لهم مرقعة
او وقت لهم في كلام تمة ابيات من دقاق فيقول يا ان الحمد لله هذا
من فضل الله فاني يساوي هؤلاء الغافلين العاجزون من عبادة
السعداء المجتهدين والمجتهدين ولذلك صار هؤلاء المساكين في هذا
الخير محرومين واولئك المؤيدون به ظاهرين فائزين وكذلك قسم الامر
احكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم العالمين فهذا تفصيل قوله الله
بالعلم بانك كبير فتفقهه وراعه واعلم انك من يجرم فيه
قط وانت تتمناه الا من قبل نفسك فابذل مجهودك لتعرف قدر نعمة
الله وتعظمها حق عظمة فتكون اهلا لها ولا اعطائها ثم يبقى
عليك بالتائها كما بقي عليك بابتلائها على ما نذكره في الاصل
الثاني ان شاء الله الرؤف الرحيم **الاصل الثاني** ان النعمة انما
تسلب من لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها والذي كفرها
الكفو
ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي
آتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين

ولا شيئا لو فعناه بها ولكنه اخلد الى الارض تقدير هذ الكلام
انا انعمنا على العبد بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين
بان مكناه بذلك في تحصيل الرتبة الكبيرة المنزلة الرفيعة على بابنا
فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر
نعمتنا فمال الى الدنيا الخبيثة الحقيرة وآثر شهوة نفسه الدنية
الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله ادنى نعمة من
نعم الدين [illegible] جناح بعوضة فكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي
لا يعرف الاكرام والاستراحة من الاهانة والمشقة ولا الرفعة والشرف
من الحقارة والخسة فهو في الحالتين يلهث وانما الكرامة كلها
عنده في كسرة تطعم او عراق مائلة يرمى اليه سواء تقعده على
سرير او تلقيه في التراب والقذر بين يديك فهمته وكرامته
[illegible] ونعمته كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذ جهل قدر نعمتنا
ولم يعلم قدر نعمتنا ما آتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وساء
في مقام القربة ادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا

بدنيا

بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه بنظر السياسة واحضرناه
ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبنا جميع خلعتنا
وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا من جميع ما اتيناه
من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله من سخطه
واليم عقابه انه منان رؤف رحيم ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبد
ه فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق سائر حجابه
وخدامه وامره بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له في موضع آخر القصور
وتوضع له الاسرة وتنصب له الموائد وتزين له الجواري ويقام له الغلمان
حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هناك ملكا مخدوما مكرما وما بين
حال خدمته الى ملكه وولايته الا ساعة من نهار او اقل فان ايم
هذا العبد بجانب باب الملك سائسا للدواب يأكل رغيفا او كعبا بمضغ
عظم فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ماله
من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السائس وعند يده وجب له كسرة من رغيف

اويرا احد الكتاب على عظمه وتغبطهما ويعظم ما هما فيه اليس
الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول هذا السفيه خسيس
الهمة لم يعرف حق كرامتنا ولم يرقدرنا عن اعزازنا اياه
بخلعنا والتقريب المحض ثم امر صرفنا اليه من عنايتنا وامر ثالم من الذخاير
وضرب الايادى ما هذا الا ساقط الهمة عظيم الجهل قليل التميز اسلبوا
الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا امال الى الدنيا والعابد ان اتبع
الهوى فبعد ما اكرمه الله تعالى بعبادته ومعرفة اياته وشريعته و
احكامه ثم انه لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر شيء تعالى وهونه
عنده فيرغب فيه ويحرص عليه واعظم في قلبه احب اليه من جميع ما اعطى
من تلك النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكم والحقايق وكذلك من حصه الله تعالى
بانواع توفيقه وعصمته وزينته بانواع خدمته وعبادته ويديم اليه
النظر بالرحمة في اكثر اوقاته ويباهي به ملائكته واعطاه على بابه العبادة والرفاهة
واحله محل الشفاعة وانزله منزلة الاعزة حتى اذا صار بحيث لو دعا
لاجابه ولبا ولو ساله اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم ولو رضا
ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله شيء لاعطاه قبل ان يساله
بلسانه فمن كانت هذه نعمته لم يعرف قدر هذه النعم حاله ولم ينظر قدر هذه المنزلة فعدل
عن ذلك الى شهوة نفس ودنية لاحيا لها او لعقة من الدنيا الدنية والتي لا بقا لها ولم ينظر

الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن والعطايا ثم وعده واعد له في
الاخرة من ثواب الجزيل العظيم والنعم التابع المقيم فهو احقر من الشيء
وما سواه من عبد وما اعظم قدر خطره لو علم وما الى … ٣٢٤
لهم فهم نسال الله البر الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين
فعليك ايها الرجل بيدل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله تعالى عليك
واذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك
تعالى منك لا يكون الا بطرا وتهاونا بنعمته (الدهاون) كل ربك بذلك من نعم الدين اما تسمع قوله
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم تقديره ان كل من اوتي القران العظيم حق له ان لا يعظم الى الدنيا
الحقيرة نظرة بالتمنى له والتمنى فضلا ان يكون له فيها رغبة فيلزم
الشكر على ذلك فانها الكرامة التي حرص خليله ابراهيم عليه السلام ان يمن
بها على ابيه فلم يفعل وحرص حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ان يمن
بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا فانه يصبه على الكل في
ومؤمن وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذي هم اهون خلقه عليه

حتى غرقوا فيه وصرفه عن كل نبي وصديق وعالم وعابد
الذين هم اعز الخلق عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة ولا خرقة
ومن عليهم بان لا يلطخهم بقذرها حتى قال تعالى لموسى عليه السلام
ولو شئت ان ازينكما بزينة يعلم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز
عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما الدنيا وارغب بكما عنها وكذلك افعل
باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك
العرة واني لاجنبهم سكونها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن
ليستكملوا حظهم من كرامتي وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فاذا افطن
الفرق بين الامرين اذ كنت تبصر وقل الحمد لله الذي من علي بمثل اوليائه
واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه لتحظى وتختص بالشكر الا فرق
والحمد الاكبر والمنة الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام فانها الاولى
والاحرى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكر فان كنت عاجزا عن عرفان
قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكرها

من اول الوقت الى الابد ما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هنالك من
الفوز العظيم قلت وعلم ان العظيم الموضع لا يحتمل ذكره وما يبلغه من
علمي من قدر هذه النعمة ولو امليت فيه الف ورقة لكان مبلغ علمي فوق
ذلك مع اعترافي باني ما علمت في جنب ما لا اعلمه كنقطة في بحار الدنيا باسرها
اما تسمع قوله لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ثم قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما و
قال للقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم
وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله على نعمة عظيمة
ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام قال على اي دين تركته
قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى
ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا و
هدانا الى الاسلام فاياك ان تغفل الشكر وتغتر بما انت عليه في الحال من الاسلام
والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور

بالعواقب وكان سفين رحمه الله يقول ما امن احد على دينه الا سلبه
وكان شيخنا يقول اذا سمعت بحال الكفار خلودهم في النار فلا تامن
على نفسك فانك على الخطر ولا تدري على ماذا يكون من العاقبة وما
ذا سبق لك في حكم الغيب فلا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها
غوامض الافات وقال بعضهم يا معشر المغترين بالعصمة فان تحتها
انواع النقمة زين الله ابليس بانواع عصمته وهو عنده في حقائق لعنته
وزين بلعم بانواع ولايته وهو عنده في حقائق عداوته وعن علي رضي الله عنه
كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من
مغرور بالستر عليه وقيل لذي النون ما اقصى ما يخدع به العبد قال بالا
لطاف والكرامات ولذلك قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال اهل المعرفة لا ينبغ عليهم النعم وينبههم الشكر شعر
او
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ۞ ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ۞ وصفوة الليالي يحدث الكدر
عند

واعلم انك كلما صرت اقرب فامرك اصعب واخوف والمعاملة اشد وادق
والخطر عليك اعظم فان الشيء كلما كان ابلغ علوا اذا انقلب كان اصعب
وقوعا كما قيل ما طار طير فارتفع الا كما طار وقع فاذا لا سبيل الا من
والاغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ بحال وكان ابراهيم بن ادهم يقول
كيف امن وابراهيم الخليل عليه السلام كان يقول واجنبني وبني ان نعبد الا
صنام ويوسف عليه السلام يقول توفني مسلما وكان سفين الثوري
لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق وبلغنا عن محمد
بن يوسف رحمه الله انه قال بات سفين الثوري ليلة فبكى الليل اجمع فقلت
ابكائك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا وقال الذنوب اهون على الله من هذا
وانما اخشى ان يسلبني الاسلام والايمان بالله وسمعت انا وبعض العارفين
يقول ان بعض الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك الايات
والكرامات فقال تعالى لم يشكرني يوما في الايام على ما اعطيته ولو شكرني
يوما ~~في الايام~~ على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الراجي واحتفظ

بذكر الشكر جدّاً جدّاً واحمد الله على نعمته في الدين اعلاها الاسلام
والمعرفة وادناها مثلا توفيق تسبيحة او عصمة عن كلمة لا يعنيك عسى
ان تمنّه نعمة خلقك ولم يبتليك بمراتب الغي والآفات امثال امور واصعبها
الاهانة بعد الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال و
الله تعالى الماجد الكريم الرؤف الرحيم **فصل** وجملة الامر
اذا احسنت النظر في منن الله تعالى العظام البادية الكرام الجسام التي
التي لا تحصيها فكرك ولا تحيط بها وهمك حين خلقت هذه العقبات القواطع
فنوّرت العلوم والبصائر وتطهّرت من الاوزار والكبائر وسبقت
العوائق ورفعت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح
فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة ورتبة منيفة اولها التصحيح
والتعريف واخرها التقريب والتشريف فتأملت فيها بعقلك و
تعقلت فيك وشكرت الله جل جلاله على قدر طاقتك بان تشغل لسانك بحمده
وثنائه وتملأ قلبك بعظمته وتبلغ مبلغاً تحول بينك وبين عصيانه و

ويبعثك

ويبعثك على الخدمة له بما امكنك بان تسعه طاقتك بان تشغل مغتنماً فا
بالقصور عن حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره او فترت
او زللت عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت اليه و
وقلت يا الله يا مولاي كما بدأت بالاحسان بفضلك من غير استحقاق
فاتممه بفضلك ايضا من غير استحقاق وتناديه بنداء الاولياء
الذين وجدوا نتاج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا
على انفسهم حرقة الطرد ودرك الهانة ووحشة البعد والضلالة
ومرارة العزل والازالة فوقفوا على الباب مستغيثين ومدوا اليه الا
كف مبتهلين ونادوا في الخلوة مستغيثين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قلت انا نقتديهم
والله اعلم انا وجدنا منك نعمة فطمعنا في الاخرى لانك انت الجواد
الوهاب فكما وهبت لنا مزية الانعام في الابتداء فهب لنا رحمة
الانعام في الانتهاء انك سميع مجيب انه اول دعاء علمه رب العالمين

عباده المسلمين الذين اصطفاهم الله من بين خلقه هذا الدعاء بقوله
اهدنا الصراط المستقيم اى ثبتنا عليه وادمه لنا فهكذا ابتضرع اليه فان
الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فوجدوا مصائب العالم ومحنه الى خمس
المرض فى الغربة والفقر فى الشيب والموت بالشباب والعمى بعد البصر
والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك قول من قال ولكل شيء اذا فارقته عوض
وليس لله ان فارقت من عوض كذا اذا ابقى الدنيا على المرء دينه فما
فاته منها فليس بضائره وكذلك فى كل نعمة انعم بها عليك وتاييدا ايك
به فى قطع ما اعطى عقبة من العقبات ليثبت عليك ما اعطاك ويزيدك فوق
ما تريده وتتمنى فان افعلت ذلك كنت قد خلفت هذه العقبة الخطيرة
وظفرت بالكنزين الكريمين العزيزين اللذين هما الاستقامة والا
ستزادة فقد دام لك النعم الموجودة التى اعطاكها الله فلا تخشى
زوالها ويزيدك من النعم المفقودة التى لم تعط بعد مالا تحسن ان تسالها
وتتمناها فلا تخشى فواتها وكنت حينئذ من العارفين العلماء بالله الذين

التائبين الطاهرين الزاهدين فى الدنيا المتجردين للخدمة القا
هرين للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب والاركان القاصرين
للامل الناصحين الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين القانعين
الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين المنة الشاكرين لانعم ربهم
رب العالمين ثم نصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين
فتامل هذا الكلام والله ولى التوفيق فان قلت
اذا كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابدين بهذا المعبود
والواصلين الى هذا المقصود ومن الذى يقوى على هذه المؤن
ويحصل هذه الشرائط فاعلم ان الله تعالى كذلك يقول
وقليل من عبادى الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لا يعقلون لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسر الله عليه
وعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا كان العبد الضعيف يقوم
بما عليه فما ظنك بالرب القديم الغنى الكريم الرحيم فان قلت

في العمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة وكيف يبقى العمر حتى يكمل
هذه الشرائط وتقطع هذه العقبات فلعمري ان العقبات طويلة
والشرائط فيها شديدة ولكن اذا اراد الله ان يجتبي عبده قصر عليه ٣٢٣
طولها وهون عليه شديدها حتى يقول بعد قطعها ما اقرب هذه
الطريق واقصرها واهون هذا الامر وايسره وفي مثل ذلك قلت
انا عند وقوفي على هذه الغاية علم المحبة واضح لمن يريده وان
القلوب عن المحبة في عماه ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة
ولقد عجبت لمن نجا كيف نجا حتى ان منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين
سنة ومنهم من يقطعها في عشرين سنة ومنهم من يقطعها في
عشر سنين ومنهم من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر
بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق
خالص من الله تعالى وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف
كان مدتهم خطوة حتى ان رأى التغير في وجه ملكهم دقيا
نوس فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها

حصلت لهم المعرفة وابحروا اساسا في هذه الطريق من الحقائق و
قطعوا هذا الطريق فصاروا معتقضين متمكنين مستقيمين ان
٣٢٤ قالوا فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا
كذلك انما حصلت في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون
ما كان مدتهم الا لحظة حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام
فقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون فابحروا الطريق
وقطعوه حقه فصاروا من ساعة الى ساعة بلا افضل من العارفين
بالله تعالى الراضين بقضاء الله تعالى الصابرين على بلائه الشاكرين
من لا له المشتاقين لقائه فنادوا لا ضير انا الى ربنا لمنقلبون ولقد
حكينا ان ابرهيم كان ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد
هذه الطريق فلم يكن الا بمقدار سير من بلخ الى مرو الروذ حتى
صار بحيث اشار الى رجل سقط من القنطرة في ماء الكثير هنالك
ان قف فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص وان رابعة البصرية كانت

كانت امة كبيرة تطوف في سوق البصرة هناك لا يرغب فيها احد
لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم واعتقها فاختارت
هذه الطريق واقبلت على العبادة فما تمت لها ستة حتى زارها زهاد
البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي لم يسبق له العناية
ولم يعامل بالفضل فيوكل الى نفسه فربما يبقى في شعب من عقبة واحدة سبعين
سنة ولا يقطعها وكم يصيح ويصرخ مما اظلم هذه الطريق واشكلها
واعظم هذا الامر واعضله فان الشان كله الى اصل واحد وذلك تقدير
العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الذي خص
وحرم هذا وكلاهما مشتركان في رفعة العبودية فعند هذا السؤال
ينادى من سرادق الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية و
حقيقة العبودية فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قلت
انا ومثال هذه الطريق في الدنيا الصراط في الآخرة في عقباتها
وصعوباتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلائق فيها
فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من

يمر عليه كالريح العاصف وآخر كالفرس الجواد وآخر كالطائر
وآخر يمشي وآخر يحبو حتى يصير فحمة وآخر يمسه حسيسها
وآخر يؤخذ بالكلاليب فيطرح في جهنم فكذلك حال هذه
الطريق مع سالكيها في الدنيا فهما صراطان صراط في الدنيا
وصراط في الآخرة فصراط الآخرة للانفس ترى اهوالها
اهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب ترى احوالها ذوو الابصار
والالباب وانما اختلف احوال السالكين في الآخرة لاختلاف
في احوالهم في الدنيا فتأمل فاذكر حقه فهمه هذه وبالله
التوفيق **فصل** ثم اعلم ما هو التحقيق في هذا الباب وهو
انه ليس هذا الطريق في طولها وقصرها مثل مسافة الكائنة التي
تسلكها الانفس فتقطعها باقدامها فيقع قطعها على حسب قوة
الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني يسلكه القلوب فتقطعه
بالافكار على حسب العقائد والبصائر واصلها نور سماوي
ونظر الهي يقع في قلب العبد فينظر به نظرة فيرى به امر الدارين

بالحقيقة ثمرة هذا النور ربما يطلب يطلب العبد مائة سنة فلا
يجده ذلك وان اثر منه وذلك لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله
بطريق ذلك واخر يجده في خمسين سنة واخر يجده في عشرين سنة
واخر في يوم واخر في ساعة ولحظة بعناية رب العالمين وهو
ولي الهداية لكن العبد مامور ومقسوم مقدور والرب حكيم عدل
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت فما اعظم هذا الخطر
واشد هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف
فكل هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرائط لماذا فاقول نعم
انك لصادق في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك
قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها و
حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وكذلك قال سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا و
ضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق

لم يخلقوا او ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وكذلك يقول السلف
رحمهم الله فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال وددت
اني كنت خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه
انه سمع انسانا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا فقال ليتها تمت وقال ابو عبيدة ابن الجراح اني وددت اني كنت
كبشا لاهلي فيذبح فيتمزق لحمي ويحتسي مرقي ولم اخلق وعن وهب
بن منبه رضي الله عنه انه قال خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه ما
هنا له عيش وعن الفضيل رحمه الله اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون القيامة انما اغبط من
لم يخلق وعن عطاء السلمي لو ان نارا اوقدت فقيل من القى نفسه
فيها صار لا شيء لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار
فالامر اذا ايها الرجل شديد كما تقول بل اشد واعظم مما تظن
وتتوهمه ولكنه امر سبق في العلم القديم وتدبير اجراه العزيز العليم
فلا حيلة للعبد الا ببذل المجهود في العبودية والاعتصام

بحبل الله وان يبتهل دائما الى الله تعالى عسى ان يرحمه الله فيسلمه
بفضله واما قولك كل هذا لماذا فهذا الكلام يدل منك على غفلة
عظيمة بل الصواب ان يقول لك هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ٣٢٩
ماذا اتدري ما انت تطلب ايها العبد الضعيف اقل ما يطلبه على
الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك
في الدارين اما السلامة فان الدنيا وفتنها وغوائلها
بحيث لم يسلم منها الا الملائكة المقربون وقد سمعت حديث هاروت
وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح العبد الى السماء يقول
ملائكة السموات سبحان كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيا
رنا اي قال خرج في اهوالها وشدائدها بحيث تصرخ فيها الا
نبياء والرسل نفسي نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى روي
انه لو كان لرجل عمل سبعين نبيا لظن انه لا ينجو في الاداني
يسلم من فتن هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا يصيبه
فتنة ومن اهوال هذه فيدخل الجنة سالما لا يصيبه نكبة ايكون

(ذلك امر دنيا)

٣٤

واما الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشية وان ذلك
بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله واصفيائه الذي رضي بقضائه
البر والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب وفضة
والانس والجن والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤون الا هو
كائن لانهم لا يشاؤون الا ان يشاء الله وما شاء الله كان ولا يها
بون احدا من الخلق ويهابهم كل الخلق ويهابهم كل الخلقة
لا يخدمون الا الله تعالى ويخدمهم كل من دون الله تعالى و
اين الملوك الدنيا بعشر معشار عشر بل هم اقل وادنى واما ملك الا
خرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا
واعظم بما يقول فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان الدنيا
باسرها قليلة وان بقاؤها من اولها الى اخرها لقليل ونصيب
احدنا من هذا القليل قليل ثم ان الواحد منا قد يبذل ماله وروحه
حتى ربما يظفر بقدر قليل وان حصل لك ذلك فبعد ابل يغيظ ولا
يستكثر ما يبذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس

عن الملك

حيث يقول بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان
بقيصره ملك الى قوم فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا
او نموت فنعذرا فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم
الخالد المقيم أيكثر مع ذلك ان يصلي ركعتين لله تعالى او ينفق ٢٤١
درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان له الف الف نفس والف الف
روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل في كل لمحة في هذا
المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولان ظفر بعد بما طلب كان
ذلك غنما عظيما وفضلا من الله الذي اعطاه كثيرا فتنبه ايها
المسكين من رقدة الغافلين ثم لتتأمل ما يعطيه الله
العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك هذا الطريق عمره فوجدتها
على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرين منها في الدنيا
وعشرين منها في العقبى اما التي في الدنيا فالاول ان يذكره
الله تعالى ويثني عليه واكرم بعبد يكون رب العالمين في ذكره
وثنائه والثانية ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو ان

٦

مخلوق ضعيف مثلك معظمك لتشرفت به فكيف باله الاولين والاخرين
والثالثة ان الله يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت بذلك
وانتفعت به في مواطن عزيزة فكيف بمحبة الله رب العالمين والرابعة ٢٤٢
ان يكون الله وكيلا يدبر اموره والخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوجهه
اليه من حال الى حال من غير تعب او وبال والسادسة ان يكون
له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء والسابعة
ان يكون له انيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والا التبدال
والثامنة عز النفس فلا يلحق ذل خدمة الدنيا وجبابرتها
والتاسعة رفعة الهمة فيترفع عن التلطخ بقاذر الدنيا واهلها
ولا يلتفت زخارفها وملاهيها ترفع الرجال الابطال عن ملاعب
الصبيان والنسوان والعاشرة غنى القلب فيكون اغنى من كل غني
في الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يفزعه حدث ولا يهمه عدم
والحادية عشر نور القلب فيهتدي بنور قلبه الى علوم واسرار

وحكمة لا يهتدى الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد والثانى
عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بالخلق من محن الدنيا ومصائبها من
مؤن الناس ومكائدهم والثالث عشر المهابة والموقع فى النفوس ٣٤٣
تحترمه الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار والرابعة عشر
المحبة فى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على
تعظيمه واكرامه والخامسة عشر البركة العامة فى كل شىء من كلام
او نفس او فعل او ثوب او مكان حتى يتبرك بتراب وطئه وبمكان جلس
فيه يوما او ساعة وباناس صحبه او رآه حينا والسادس عشر
تسخير له الارض من البر والبحر حتى ان شاء مشى على الهواء او مشى على الماء
او قطع وجه الارض باقل من ساعة والسابعة عشر تسخير له الحيوانات
من الوحوش والسباع والهوام وغيرها فتحبه الوحوش وتبصبص له
الاسد والثامن عشر يملك مفاتيح الارض فحيث ما يضرب يده فله
كنز اى اراد وحيث ما يضرب برجله فله ماء اى احتاج واى ماء اراد

ماية لحضرة ان قصد للعبد والتاسعة عشر القبول والوجاهة على باب
فيغنى الخلق بالوسيلة الى الله تعالى بخلة منه ويستنجح الحاجات من الله تعالى
٣٤٤ بوجاهته وبركته والعشرون اجابة الدعوة من الله تعالى ولا يسأل
الله شيئا الا اعطاه اياه ولا يشفع احدا الا وقد يشفع لو اقسم على
الله لابر بما شاء حتى انه منهم من لو اشار الى جبل لزال فلا يحتاج الى
السؤال باللسان ولو خطر باله شىء لحضر ولا يحتاج الى الاشارة
باليد فهذه كرامات فى الدنيا وبالله التوفيق واما التى فى العقبى
فالاولى والعشرون ان يهون الله تعالى عليه سكرات الموت وهى التى
جعلت قلوب الانبياء منها حتى سال الله تعالى ان يهون عليهم
حتى انهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء اتى للظمآن قال تعالى
الذين تتوفيهم الملائكة طيبين والثانية والعشرون الاثبات على المعرفة
والايمان وهو الذى عنه كل الخوف والفزع وعليه البكاء والجزع قال تعالى
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت والثالثة والعشرون ان يرسل

الروح

٢٤٥

والتحيات بالبشرى وانه ما فى قوله تعالى الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فلا تخافوا عما
تقدم عليه فى العقبى ولا تحزن على ما خلفه فى الدنيا والرابعة
والعشرين الخلود فى الجنان والاكرام والاحسان والخامسة
والعشرين الحشر فى ستر لى وضعه على ملائكة السموات بالاكرام
والالطاف والانعام والبدنه فى العلانية بتعظيم جنازته
والمزاحمة على الصلوة عليه والمبادرة الى تجهيزه يرجون بذلك
اكثر ثواب الله ويعدونه اعظم غنم والسادسة والعشرون
الامان من فتنة السؤال فى القبر والتلقين الصواب فيؤمن
من كل الهول والسابعة والعشرون توسيع القبر والتنوير
فيكون فى روضة من رياض الجنة الى يوم القيمة والثامنة والعشرون
ايناس روحه ونسمته واكرامها فيجعل فى اجواف طير خضر
مع الاخوان الصالحين فرحين مستبشرين بما اتاهم الله تعالى

من فضله

٢٤٦

من فضله والتاسعة والعشرون الحشر فى العز والكرامة فى
حلل او تاج وبراق والثلاثون بياض الوجه وفى قال تعالى وجوه
يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والاحدى والثلاثون الامن (الى وجوه صح)
الامن من اهوال القيمة قال الله تعالى امن يأتى امنا يوم القيمة
والثانية والثلاثون تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب اصلا
الثالثة والثلاثون الكتاب باليمين ومنهم من كفى الكتاب راسا
الرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف العرض اصلا
الخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبى صلى الله عليه وسلم فيشرب منه شربة لا يظما بعدها ابدا
السادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار
السابعة والثلاثون الشفاعة فى عرصة القيمة نحو من شفاعة الانبياء والرسل
الثامنة والثلاثون ملك الابد فى الجنة
التاسعة والثلاثون الرضوان الاكبر
الاربعون كشف لقاء رب العالمين الى الاولين والاخرين بلا كيف

جل جلاله تعالى انه اقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ علمي
في قصوري ونقصه ومع ذلك فقد جمعت واوجزت واجملت وذكرت
الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما احتملته الكتاب الا ترى اني
جعلت ذلك الا بخلعة واحدة ولو فصلتها لارتفعت على اربعين خلعة
من نوع الحور والقصور واللباس وغيره لكن تنوع كل نوع يشتمل على تفاصيل
لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها ومالكها واني
يطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق في الجنة ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسر يقول لو كان
في قول الله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي
الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة بالتلطف والكرامة وانما
من يكون حاله هذا فاني يبلغ جزء من الف الف جزء منه وهم
بشر او يحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الفهم وتقاصرت دونه

العقول

العقول وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على
مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم لا بمثل ذلك فليعمل العاملون
وليبذل المجتهدون جهدهم هذا المطلوب العظيم وليعلموا ان ذلك
كله لاقل قليل في جنب ما هم محتاجون اليه واياه يطلبون وله يتعرضون
وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من اربعة العلم والعمل والاخلاص والخوف
فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل
والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا
فهو مغرور ولقد صدق ذو النون المصري حيث قال الخلق كلهم موتى الا العلماء
والعلماء كلهم نيام الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصون والمخلصون
على خطر عظيم قلت انا والعجب كل العجب من اربعة احدها عاقل غير عالم ان يهتم
بمعرفة ما هو بين يديه اما يعرف ما هو مطلع بعد الموت عليه بالنظر في هذه
الدلائل والعبر والاستماع الى هذه الايات بالنظر والانزعاج لهذه الخواطر
والهواجس في النفس قال الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وقال تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
والثاني من عالم غير عامل اما يتذكر ما يعلم يقينا مما بين يديه من الاهوال العظام

٣٤٩

والعقبات الصعاب وهذا هو النبأ العظيم الذي انتم عنه معرضون
والثالث من عالم غير مخلص الاعمال قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والرابع من مخلص غير خائف اما
ينظر الى معاملاته جل جلاله مع اصفيائه واوليائه وخدم الدالة بينه وبين
خلقه حتى يقول لاكرم الخلق عليه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد اوحي اليك والى الذين
من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الاية ونحوها حتى كان صلى الله عليه وسلم
يقول شيبتني سورة هود واخواتها الحاقة والقارعة واذا الشمس كورت
ثم جمل الامر بتفصيل اسم المحسن ثم افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
ثم قال عز وجل من قائل ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ثم اجمل الكل
فقال اصدق القائلين فمن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن كفر فان الله غني عن
العالمين ونستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم او جرى به القلم ونستغفره
من اقاويلنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وظهرناه من العلم
بدين الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة نظمناها او علم
دعينا الى التصنع وتزيين في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه وشغله

٣٥٠

ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه به مريدين
وان لا يجعله وبالا علينا وان يضعه في ميزان الصالحين اذا ردت اعمالنا
الينا انه جواد كريم فهذا ما اوردناه ان نذكره في شرح كيفية سلوك الاخرة
ووقفنا بالمقصود في ذلك والحمد لله بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على
سيدنا خير مولود دعينا الى افضل معبود محمد النبي
وعلى اله واصحابه وسلم تسليما كثيرا الى
يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل
والحمد لله رب العالمين
تم الكتاب
١٢٤٤
١١٨٩ سنة
٥٤ ص
م

قال الشيخ شهاب الدين
في شرح شرح البخاري
واما ما يفعله الناس من خلط
الحبوبات المسماة بطعام العاشوراء
فليس له اصل من الكتاب ولا سنة
ولا اجماع الائمة بل هو بدعة الروافض
المبتدعة فهو مكروه في مذهب الشافعي
وشيخي الحرم حرام
[illegible]